المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم
بطاقة تعريفية بكتاب "المفاهيم القرآنية من سورة الانفطار"

أولا ً: التعريف بالكتاب

اسم الكتاب: المفاهيم القرآنية من سورة الانفطار

موضوع الكتاب: يقدم الكتاب تفسيراً موضوعياً متكاملا ً لسورة الانفطار، مع التركيز على استخلاص المفاهيم القرآنية والتربوية والنفسية من آيات السورة الكريمة، وبيان أثرها في بناء الشخصية المسلمة وتكوين الوعي الإيماني والرقابي.

طبيعة الكتاب: كتاب تفسيري تربوي تحليلي، يجمع بين الدراسة اللغوية الدقيقة والتأمل النفسي و التربوي، مع تطبيقات عملية معاصرة .وهو ليس تفسيراً تقليدياً بالمعنى الكلاسيكي، بل هو مقاربة تأسيسية لاستنطاق النص القرآني واستخراج مفاهيمه البناءة للحياة.

تأليف: أحمد عبد الرزاق مربوش العامري

مراجعة وتدقيق: الأستاذ منير عبده عثمان الصلوى

ثانياً: محاور الكتاب ومحتواه

ينقسم الكتاب إلى أربعة مباحث رئيسية، تتوزع ضمنها آيات سورة الانفطار وفق التسلسل التالي:

المبحث الأول) الآيات1 -(5: المشهد الكوني لانتهاء الدنيا وبداية الآخرة

· تفسير آية:} إذا السماء انفطرت {مع دراسة دلالات الانفطار لغة وفلسفة.
· تفسير آية:} وإذا الكواكب انتثرت {وبيان رمزية انتثار الكواكب في الوعي الإنساني.
· تفسير آية:} وإذا البحار فجرت {ودلالات تحول مصدر الحياة إلى نار.
· تفسير آية:} وإذا القبور بعثرت {وكشف سر القبور كبوابة للبعث.
· تفسير آية:} علمت نفس ما قدمت وأخرت {وأسرار المحاسبة الذاتية.

المبحث الثاني) الآيات6 -(9: مواجهة الغرور الإنساني وكشف جذوره

· تفسير آية:} يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم {وتحليل خطاب التوبيخ الإلهي.
· تفسير آية:} الذي خلقك فسواك فعدلك * في أي صورة ما شاء ركبك {وبيان نعم الله في خلق الإ نسان.
· تفسير آية:} كلا بل تكذبون بالدين {وكشف العلاقة بين التكذيب بالدين والغرور.

المبحث الثالث) الآيات10 -(16: إثبات المراقبة الإلهية وتفصيل مصير الفريقين

· تفسير آية:} وإن عليكم لحافظين * كراماً كاتبين * يعلمون ما تفعلون {وإرساء ثقافة المراقبة الذاتية.
· تفسير آية:} إن الأبرار لفي نعيم * وإن الفجار لفي جحيم * يصلونها يوم الدين {وبيان العدالة الإ لهية في الجزاء.

المبحث الرابع) الآيات17 -(19: تتويج المشهد بإعلان السيادة المطلقة لله

· تفسير آية:} وما أدراك ما يوم الدين * ثم ما أدراك ما يوم الدين{
· تفسير آية:} يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله{

ثالثاً: منهجية الكتاب

يعتمد الكتاب منهجية متكاملة تجمع بين عدة مستويات:

1. المنهج اللغوي التحليلي: حيث يُفصّل المؤلف دلالات الألفاظ القرآنية (الانفطار، الانفطار، الانشقاق، النثر، التفعير، البعثرة)، ويبين الفروق الدقيقة بينها، مستشهداً بمعاني اللغة العربية وأصول الاشتقاق.
2. المنهج التفسيري الموضوعي: لا يقتصر المؤلف على التفسير الآية بآية، بل يربط الآيات ببعضها البعض في وحدة موضوعية متكاملة، ويظهر الترابط بين المشهد الكوني والخطاب الإنساني والمصير الأخروي.
3. المنهج التربوي التنموي: يركز الكتاب على استخلاص القيم والمفاهيم التربوية من الآيات، ويحول النص القرآني إلى منهج حياة، مع تقديم تطبيقات عملية في المجالات الفردية والأسرية والمجتمعية والمؤسسية.
4. المنهج النفسي التحليلي: يتناول الكتاب الأبعاد النفسية للآيات، محللاً مشاعر الإنسان، ودوافعه، ومكامن غروره، وكيفية معالجتها عبر التذكير القرآني.
5. المنهج الاستشرافي المعاصر: يربط المؤلف بين النص القرآني وواقعنا المعاصر، مستخرجاً إشارات وتحذيرات حول "الانفطارات" في المجتمعات والمؤسسات والقيم، مما يضفي على الكتاب طابعاً تطبيقياً معاصراً.

رابعاً: أسلوب المؤلف وأهميته

أسلوب المؤلف يتميز بـ:

1. العمق الفلسفي: ينطلق المؤلف من النص القرآني ليؤسس رؤى وجودية وفلسفية عميقة حول الزمن، والوجود، والمسؤولية، والحرية، والاختيار، والإرادة، والخلود.
2. البساطة مع العمق: يجمع بين اللغة الميسرة والتحليل العميق، مما يجعل الكتاب في متناول القارئ العادي، مع إثرائه للباحث المتخصص.
3. الحوارية: يتبنى المؤلف أسلوب الحوار في الطرح، وكأنه يخاطب القارئ مباشرة، ويدعوه للتأمل، ويطرح عليه أسئلة تثير التفكير، تماشياً مع الأسلوب القرآني نفسه.
4. التطبيق العملي: لا يكتفي بالتنظير، بل يقدم تمارين عملية وتطبيقات حياتية، مثل مراجعة اليوم قبل النوم، واستشعار الآيات في المواقف اليومية، وتطبيق المراقبة الذاتية في العمل والعلاقات.
5. التكامل المعرفي: يدمج المؤلف بين العلوم الشرعية واللغوية والنفسية والتربوية والإدارية، مع إشارات إلى العلوم الكونية الحديثة، مما يجعل الكتاب موسوعة معرفية مصغرة.

أهمية الأسلوب: تكمن أهميته في قدرته على نقل القارئ من القراءة السطحية إلى التدبر العميق، ومن التلقي السلبي إلى التفاعل الإيجابي، ومن المعرفة النظرية إلى السلوك التطبيقي.

خامساً: ما يتميز به الكتاب عن بقية التفاسير

1. التركيز على "المفاهيم" بدلاً من "المعلومات": لا يكتفي الكتاب بنقل أقوال المفسرين، بل يسعى إلى استخلاص المفاهيم الكبرى التي تؤسس لرؤية إسلامية متكاملة في النفس والحياة والمجتمع والكون.
2. الجانب التربوي والنفسي: يولي الكتاب عناية استثنائية للتربية النفسية والروحية، ويحلل كيفية تأثير الآيات في بناء الشخصية، وكسر الغرور، وغرس الحياء، وتنمية المسؤولية الذاتية.
3. التفريق الدقيق بين المصطلحات المتشابهة: يميز الكتاب بدقة بين مفاهيم متقاربة، مثل:
   - الفرق بين الانفطار والانشقاق.
   - الفرق بين الغرور والكبر والعُجب.
   - الفرق بين حب الذات المشوه وحب الذات الحقيقي.
   - الفرق بين عذاب المؤمن المذنب وعذاب الكافر المكذب.
4. الربط بين الآيات والواقع المعاصر: يخرج الكتاب من النص إلى الحياة، مستخرجاً إشارات تحذيرية حول "انفطارات" المجتمعات والأمم، وداعياً إلى الإصلاح قبل الانهيار الكامل.
5. التأصيل لثقافة المراقبة الذاتية: يتفرد الكتاب بتفصيله لدور الملائكة الكرام الكاتبين، وبيان أثره في غرس الحياء والمراقبة، مما يجعله مرجعاً أساسياً في التربية الإيمانية.

.6المنهج التكاملي: يقدم الكتاب تفسيراً لا يقتصر على جانب واحد، بل يشمل الأبعاد اللغوية، و العقدية، والتربوية، والنفسية، والوجودية، والتطبيقية، في وحدة متكاملة.

سادساً: الجمهور المستهدف بالكتاب

.1المسلمون عامة: الراغبون في فهم أعمق لسورة الانفطار، وتدبر معانيها، وتطبيقها في حياتهم اليومية.
.2الدعاة والعلماء: الذين يبحثون عن مادة دعوية غنية، ومفاهيم تأسيسية لبناء المناهج التربوية و الدعوية.
.3المربون والمعلمون: في مجال التربية الإسلامية، حيث يزودهم الكتاب بأدوات تربوية عملية ومفاهيم نفسية عميقة لبناء الأجيال.
.4طلاب العلم الشرعي: المهتمون بالتفسير الموضوعي، والدراسات القرآنية المتقدمة.
.5المختصون في علم النفس والتربية: الباحثون عن رؤية إسلامية للسلوك البشري، ودوافعه، وأمراضه النفسية) كالغرور، والكبر، والتكذيب.(
.6المسؤولون والقادة والمدراء: حيث يقدم الكتاب رؤية إسلامية للإدارة والمسؤولية، ومفهوم الأمانة، والمراقبة الذاتية المؤسسية.
.7أصحاب الهمم العالية والساعون للتغيير: ممن يريدون تطوير أنفسهم، وتنمية وعيهم الذاتي، والا ستعداد للحياة الآخرة.

سابعاً: أهداف المؤلف وغاياته

.1بناء الوعي الرقابي: غرس الإحساس بمراقبة الله في النفس البشرية عبر استشعار وجود الملائكة الكرام الكاتبين، وإثبات حقيقة أن كل عمل مسجل ومحصى.
.2كسر حدة الغرور والتكبر: معالجة داء العجب بالنفس عبر تذكير الإنسان بأصله الضعيف، وبنعم الله عليه، وبأنه ليس سوى مخلوق محتاج إلى خالقه.
.3إثبات حقيقة البعث والجزاء: تأكيد الإيمان بيوم الدين، وأن هناك حساباً وجزاءً عادلا ً لا محالة، وأن الحياة الدنيا ليست عبثاً ولا لهواً.
.4توجيه البوصلة نحو الآخرة: تحويل هم الإنسان من الانشغال بالدنيا الزائلة إلى الاستعداد الدائم للقاء الله، مع التوازن بين أمر الدنيا والآخرة.
.5إقرار التوحيد الخالص: بيان أن الأمر كله لله يوم القيامة، وأن لا سلطان لأحد ولا شفاعة بغير إذنه، مما يحرر القلب من التعلق بغير الله.
.6تحويل النظرة إلى الحياة: تغيير رؤية الإنسان للحياة من نظرة آنية مادية إلى نظرة وجودية غائية، تجعل كل لحظة ذات قيمة، وكل عمل له أثر، وكل خطوة مسجلة.
.7ربط النص بالواقع المعاصر: استخلاص العبر من سورة الانفطار لتشخيص أمراض العصر) الغرور، الإ لحاد، التكذيب بالدين، الفساد الأخلاقي (وتقديم العلاج القرآني لها.

ثامناً: المفاهيم المستخلصة من الكتاب

يستخلص الكتاب مجموعة من المفاهيم الكبرى التي تشكل رؤية شاملة للحياة والكون والإنسان، ومن أبرزها:

1مراقبة الذات استشعار أن الله يراك، والملائكة تسجل أعمالك، مما يولد الحياء والخوف الإلهي.
2المسؤولية الذاتية كل نفس مسؤولة عن عملها، ولا تنفعها قرابة ولا شفاعة بغير إذن الله.
3التغيير الكوني الكون ليس أبدياً، بل هو زائل ومتغير بأمر الله، وانفطار السماء وانتفار الكواكب دليل على ذلك.
4النظرة المتكاملة للوجود النظر إلى الحياة من منظور كوني، لا من منظور أناني ضيق، ورؤية الإ نسان كجزء من منظومة إلهية كبرى.
5جذر الغرور الغرور في الأصل ليس مجرد نسيان للنعم، بل هو نتيجة التكذيب بالدين واليوم الآخر والحساب والجزاء.

6الأمل والرجاء النعيم المنتظر للأبرار يملأ القلب أملا ً ويدفع للصبر على الطاعة.
7الاستعداد للآخرة الدنيا مزرعة الآخرة، وكل عمل صغير له أثر كبير في مصير الإنسان الأبدي.
8التوازن بين الخوف والرجاء، بين التعلق بالدنيا والاستعداد للآخرة، بين العمل والسعي والتوكل على الله.
9العلم والقدرة أساس العدالة الإلهية هو العلم المطلق والقدرة المطلقة، وعلم الملائكة بأعمال البشر دليل على ذلك.
10العدل المطلق يوم الدين هو يوم العدالة الكاملة، حيث يجزى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، ولا ظلم فيه.
11الفردية في الآخرة انقطاع كل صلة وولاية في الآخرة، ووقوف كل إنسان وحيداً مع عمله.
12الحياء قيمة أخلاقية تغرسها مراقبة الله والملائكة، وتدفع إلى ترك المعاصي.
13المسؤولية المجتمعية التذكير بأن كل فرد مسؤول عن أسرته، ومجتمعه، وأمته، وأن الإصلاح يبدأ من النفس.
14الإصلاح المبكر وجوب التعامل مع "الانفطارات") علامات الفساد المبكرة (في المجتمعات قبل أن تتحول إلى "انشقاقات" لا تُرجى.
15الموت والبعث الموت ليس نهاية، بل هو بوابة لحياة جديدة، والبعث حق لا شك فيه.
16العبودية غاية الوجود هي عبادة الله واستخلاف الأرض، وليست المتع الزائلة.
17الإيمان باليوم الآخر هو الضمانة الكبرى لاستقامة الإنسان، وكلما قوي الإيمان قويت الاستقامة وقلت المعاصي.

تاسعاً: لماذا يجب أن تقرأ هذا الكتاب؟

.1لأنه يعيد تشكيل نظرتك للحياة: يغير نظرتك إلى الدنيا والآخرة، والكون والإنسان، والزمن والمصير، ويجعلك تعيش كل لحظة بوعي وإدراك.
.2لأنه يعالج داء الغرور: يقدم لك علاجاً روحياً ونفسياً لداء العجب والغرور الذي يُفسد النفس ويُبعد عن الله، بأسلوب يجمع بين التوبيخ اللطيف والتذكير الجميل.
.3لأنه يؤسس لثقافة المراقبة الذاتية: يجعلك تعيش باستشعار دائم بأن الله يراك، والملائكة تسجلك، وكل شيء مسجل عليك، مما يُصلح سلوكك ويُحسّن أخلاقك.
.4لأنه يربط القرآن بحياتك اليومية: لا يتركك الكتاب في عالم النظريات المجردة، بل يقدم لك تمارين عملية وتطبيقات يومية لتعيش القرآن في واقعك.
.5لأنه يجيب عن الأسئلة الوجودية الكبرى: من أين جئت؟ ولماذا أنا هنا؟ وإلى أين المصير؟ وهل هناك عدل؟ يقدم الكتاب إجابات قرآنية عميقة وشافية.
.6لأنه زاد للدعاة والمربين: هو مرجع غني بالمادة الدعوية والتربوية، بأسلوب معاصر يجذب القلوب ويفتح العقول.
.7لأنه ينمي الوعي المجتمعي: يجعلك ترى علامات الفساد المبكرة في مجتمعك، وتحذرك من الا نفطارات التي تسبق الانهيار، وتدفعك إلى الإصلاح قبل فوات الأوان.
.8لأنه يُقوي إيمانك بالآخرة: يعزز يقينك باليوم الآخر، ويذكرك بأن الحياة الحقيقية هي الآخرة، وأن الدنيا ليست سوى مزرعة لها، فيزداد إيمانك وتقوى بصيرتك.

عاشراً: مخرجات الكتاب) الأثر المتوقع على القارئ(

.1بناء اليقين الراسخ: يخرج القارئ من الكتاب بيقين متجدد بالله، وباليوم الآخر، وبالعدالة الإلهية، وبأن كل عمل له حساب.
.2غرس المراقبة الذاتية: يكتسب القارئ مهارة "المراقبة الذاتية" واستشعار رقابة الله في كل حركة وسكنة، مما يمنعه من المعاصي ويحفزه على الطاعات.
.3كسر الغرور والتواضع لله: يشعر القارئ بضعفه وحاجته إلى الله، ويتخلص من الكبر والعجب، ويصبح أكثر تواضعاً في تعامله مع الناس.
.4تحويل الحياة إلى استثمار: يدرك القارئ أن كل لحظة هي فرصة للاستثمار في الآخرة، فيصبح أكثر جدية وإنتاجية، ويحرص على الأعمال الصالحة.
.5الاستعداد الدائم للآخرة: ينشغل القارئ بالاستعداد ليوم القيامة، من خلال التوبة، والاستغفار، و العمل الصالح، والتخطيط لما بعد الموت.

.6تنمية المسؤولية الفردية والمجتمعية: يشعر القارئ بمسؤوليته تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه، ويسعى للإصلاح في كل موقع.
.7القدرة على تحليل الواقع: يكتسب القارئ "راداراً" حساساً لاستشعار علامات الفساد والانهيار في المجتمعات والمؤسسات والأفراد، فيسعى للعلاج المبكر.
.8التوازن النفسي والروحي: يحقق القارئ توازناً بين الخوف والرجاء، وبين العمل والراحة، وبين الدنيا والآخرة، مما ينعم بالسكينة والطمأنينة.

الحادي عشر: أقوال مأثورة وردت بلسان المؤلف

.1في دلالة الآيات الكونية: "إذا السماء انفطرت ليست مجرد مشهد من مشاهد القيامة، بل هي حقيقة كونية تخاطب وعي الإنسان في كل زمان ومكان، إنها منهج حياة، ونافذة على فلسفة الوجود."
.2في داء الغرور: "الغرور داء خبيث، يقتل الإنسانية، ويحجب الرؤية، ويمنع التوبة، ويؤدي إلى الهلاك ، كما هلك به إبليس وقارون وفرعون."
.3في جذر الغرور: "الغرور في الأصل ليس مجرد نسيان للنعم، بل هو نتيجة التكذيب بالدين، و التكذيب باليوم الآخر، والتكذيب بالحساب والجزاء."
.4في أهمية المراقبة: "إنّ عليكم أيها البشر ملائكة يحفظون أعمالكم ويراقبونها، وهؤلاء الملائكة هم كرام على الله، وكرمهم يزيد من هيبتهم، وهم يكتبون كل أعمالكم بدقة، ويعلمون كل ما تفعلون."
.5في فلسفة الزمن في القرآن: "استخدام الفعل الماضي "انفطرت" للحديث عن المستقبل يحمل ثلاث دلالات عميقة: تحقيق الوقوع، وكسر حاجز الزمن، وإحداث الاستعداد الفوري."
.6في النظرة المتكاملة: "كوني التفكير يعني أن يدرك الإنسان نفسه كجزء من منظومة كونية كبرى، وليس كنقطة مركزية في فضاء محدود، وأن القوانين التي تحكم الكون هي نفسها التي تحكم خلا ئقه."
.7في الفرق بين الانفطار والانشقاق: "الانفطار يشير إلى مرحلة التصدع الأولي وفقدان التماسك الهيكلي، بينما الانشقاق هو مرحلة التمزق الكامل، والتفتق الظاهر الذي لا رجعة فيه."
.8في التوبة والرجاء: "سؤال} ما غرك بربك الكريم {ليس مجرد توبيخ، بل هو تمهيد للتوبة وفتح باب الرجاء، لأن الله الكريم يغفر الذنوب ويقبل التوبة."
.9في التكذيب بالدين: "إن التكذيب بالدين هو الجذر الحقيقي لكل فساد في الأرض، لأنه يلغي المسؤولية، وينفي العدالة الإلهية، ويفرغ الحياة من المعنى، ويفتح باب الشهوات بلا رادع."
.10في الخاتمة: "لقد بدأنا بانفطار السماء وانتهينا بيوم الدين، بدأنا بالكون المادي وانتهينا بالسيادة الإ لهية، بدأنا بالصدمة الكونية وانتهينا بالحقيقة الوجودية، إنها الدائرة التي تبدأ بالله وتنتهي بالله."

الخلاصة

يُعد كتاب "المفاهيم القرآنية من سورة الانفطار" للمؤلف أحمد عبد الرزاق مربوش العامري، عملاً تفسيرياً تربوياً متميزاً، يتجاوز التفسير التقليدي إلى استخلاص المفاهيم الكبرى، وتقديم رؤية قرآنية متكاملة للحياة والإنسان والكون، بأسلوب يجمع بين العمق الفلسفي، والدقة اللغوية، والتحليل النفسي، والتطبيق العملي.

يركز الكتاب على غرس ثقافة المراقبة الذاتية، وكسر داء الغرور، وتأكيد حقيقة البعث والجزاء، وبناء الوعي الإيماني، وتوجيه الإنسان نحو الاستعداد للآخرة، مع ربط كل ذلك بواقعنا المعاصر، وتقديم أدوات عملية لتحقيق التغيير الفردي والمجتمعي.

يخاطب الكتاب جمهوراً واسعاً من المسلمين عموماً، والدعاة، والمربين، وطلاب العلم، والباحثين، وهو مرجع غني في التفسير الموضوعي والتربية الإسلامية، يتميز عن غيره من التفاسير بتكامله المعرفي، وتجديده للخطاب القرآني، وتطبيقاته العملية التي تجعل القارئ يعيش القرآن لا يقرؤه فقط.

إنه كتاب يُغيّر نظرتك للحياة، ويُصحح مسارك، ويُؤهلك للقاء الله، ويُذكرك بأن كل شيء زائل، وأن ما يبقى هو العمل الصالح وحده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الانفطار
مقدمه تمهيدية كمدخل لاستنباط المفاهيم من سورة الانفطار
اولا التعريف بسوره الانفطار
#١ / عدد آيات سورة الانفطار
** عدد الآيات: 19** **آية.**
####٢ / مكان نزول السورة
** مكان النزول: **مكية) نزلت في مكة المكرمة قبل الهجرة.(
####٣ / ترتيب السورة
** الترتيب في المصحف المرتل) المصحف الشريف(: **تقع برقم**82** ، وتأتي مباشرة بعد سورة التكوير وقبل سورة المطففين في الجزء الثلاثين) جزء عم.(
** الترتيب من حيث النزول: **نزلت برقم) **82** أو بحسب بعض كتب التفسير والعد كالسورة الحادية والثلاثين أو الثامنة بحسب اختلاف روايات نزول المفصل، وغالباً ما تُعد من أوائل السور المكية بعد سورة التكوير.(
أهمية هذا الترتيب ودوره التربوي
أهليّة وأهمية الترتيب في المصحف) التلاحم مع سورة التكوير(
* جاءت سورة الانفطار تالية لسورة التكوير تماماً، لتشكل معها** وحدة موضوعية متكاملة **في وصف أهوال يوم القيامة؛ فسورة التكوير صورت لنا "تغير الأكوان الكبرى") تكور الشمس، انكدار النجوم(، بينما تأتي سورة الانفطار لتبين "انفطار السماء وانشقاقها واختلاط البحار"، مما يعمق المشهد الكوني ويرهب القلوب من عظمة الخالق وجلال الموقف.
الدور التربوي والتنموي في بناء الشخصية المسلمة
** 1. غرس المراقبة الذاتية) بصيرة الإنسان بنفسه(:**
* تر ّبي الآيات في سورة الانفطار الإنسان على استشعار حضور الملائكة الحافظين الكرام الذين يعلمون ما يفعلون}**) وَإِنّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ(**{، مما ينمي لدى المسلم "الرقابة الذاتية" الدائمة والخشية من الله في السر والعلن.
** 2. علاج الغرور والتكبر البشري:**
* التذكير بضعف الإنسان في مواجهة أهوال الكون وتذكيره بأصله المادي}) يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك ((يكسر غرور النفس البشرية، ويغرس فيها خصلة التواضع والاعتراف بالفضل الإلهي.
** 3. وضوح مصير الإنسان والعدالة المطلقة:**
* تختتم السورة ببيان مصير الأبرار والفجار يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله، مما يدفع الشخصية المسلمة إلى الثبات على طريق الحق والاستعداد الدائم للدار الآخرة وعمل الصالحات
اهداف واغراض السورة.
أهداف وأغراض** سورة الانفطار **تدور حول تثبيت أصول الإيمان، وتوجيه الوجدان البشري نحو مراقبة الله عز وجل والاستعداد للآخرة .ويمكن إجمال أبرز هذه الأهداف في النقاط الآتية:
1. تقرير أهوال يوم القيامة واضطراب النظام الكوني
* تهدف السورة إلى هز النفس البشرية وإيقاظها من الغفلة عبر تصوير مشاهد مهيبة لانفطار السماء، وانتثار الكواكب، وتفجير البحار، وبعث القبور، لبيان أن هذا العالم زائل وأن الموعد الحق قد اقتراب.
2. علاج الغرور البشري وتذكير الإنسان بأصله ونعم ربه
* تواجه السورة طغيان الإنسان وتمرده بتوبيخ لطيف ومؤثر يدعوه للتفكر في نعمة الخلق والتسوية والاعتدال:}** يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ] **{الانفطار: 6 -[7 ، لكسر حدة الكبرياء والغرور.
3. إثبات الرقابة الإلهية الدقيقة وتسجيل الأعمال
* ترسيخ اليقين بوجود ملائكة كرام كاتبين يحصون على الإنسان كل صغير وكبير من أقواله وأفعاله }**)وَإِنّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ(**{، مما يغرس خلق الحياء والمراقبة الذاتية في السر والعلن.
4. بيان مصير الفريقين) الأبرار والفجار (والجزاء الأوفى
* توضح السورة بأسلوب تقابلي جلي مآل الإنسان يوم القيامة؛ فالأبرار في نعيم مقيم ودائم، و الفجار في جحيم يصلونها يوم الدين، لتكون دافعاً عملياً لاختيار طريق النجاة.
5. إقرار وحدانية الله المطلقة وسلطانه العظيم يوم الدين
* تختتم السورة بتقرير حاسم ينفي أي قدرة لأحد سوى الله تعالى في ذلك اليوم العصيب، حيث تنقطع كل الوساطات وتتلاشى القوى الدنيوية:}** وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ *يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ] **{الانفطار: 17 -.[19
الموضوع الرئيسي للسوره

المحور الأساسي والموضوع الرئيسي لسورة** الانفطار **هو** "تقرير حقيقة البعث والجزاء، وغرس المراقبة الإلهية في نفس الإنسان"**، ويتجلى ذلك في شقين متكاملين تنتظمهما آيات السورة كافة:
1. الشق الأول: أهوال القيامة وتغير الكون) الآيات 1 -5)
** * الموضوع: **تصوير لحظة انقلاب الكون وانفطار السماء.
** * البيان: **تبدأ السورة ببيان مشاهد تفكك النظام الكوني) انفطار السماء، انتثار الكواكب، تفجير البحار، وتبيس القبور(، لتدلل على نهاية العالم المادي وإيذان ببدء الحساب، حيث تدرك كل نفس ما قدمت وأخرت.
2. الشق الثاني: توبيخ الإنسان على غروره وإثبات رقابة الملائكة) الآيات 6 -19)
** * الموضوع: **معالجة الغرور البشري وتقرير الحساب والجزاء.
** * البيان: **تواجه السورة جحود الإنسان وتمرده بتأنيب لطيف يذكره بنعمة ربة الذي خلقه فسواه، ثم تكشف عن حقيقة رصده الدقيق عبر ملائكة كرام كاتبين يحصون أعماله، وتختتم ببيان المآل النهائي للفريقين) الأبرار والفجار (وانفراد الله وحده بالسلطان المطلق يوم الدين}**) وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ.(**}
اسباب النزول للسوره وبعض اياتها وعلاقه ذلك بموضوع السورة
:)
أولا ً: أسباب النزول لبعض آيات السورة
1. سبب نزول قوله تعالى:}** يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكريم] **{الانفطار:[6
** * الرواية: **ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت تعقيباً على تكذيب الإنسان الكافر بالبعث والنشور وتمرده على أمر الله، وقيل نزلت في العاص بن وائل أو أمثال ممن اغتروا بحلم الله عز وجل وسعة إمهاله حتى ظنوا أن لا حساب ولا عقاب، فعاتبه الله تبارك وتعالى على جحوده لإنعامه ونسيانه لحقيقة موقفه بين يدي ربه.
ثانياً: نماذج من آيات السورة وعلاقتها بالموضوع الرئيسي
1. آيات الأهوال الكونية) الآيات 1 -(3 :}** إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ**{
** * العلاقة بموضوع السورة: **ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتقرير حقيقة البعث والجزاء؛ فهذه المشاهد الهائلة لانهيار النظام الكوني تعلن انتهاء دار العمل وبداية دار الحساب، وتؤكد أن الكون الذي يبدو ثابتاً خاضع لقهر وقدرة خالقه وحده.
2. آيات الرقابة الإلهية وتسجيل الأعمال) الآيات 10 -(12 :}** وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**{
** * العلاقة بموضوع السورة: **تمثل هذه الآيات جوهر غرس المراقبة في نفس الإنسان؛ فالموضوع ا لأساسي للسورة يرتكز على الحساب والجزاء، وهنا يُبين الله تعالى أن أدوات هذا الحساب دقيقة ومستمرة من خلال رصد الملائكة الكرام لكل صغيرة وكبيرة، مما يجعل الإنسان على حذر دائم ويقظة تامة.
3. آيات بيان مصير الفريقين) الآيات 13 -(14 :}** إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**{
** * العلاقة بموضوع السورة: **تترجم هذه الآيات الغاية النهائية للبعث والجزاء؛ فهي النتيجة الحتمية لما قدمته الأنفس وسجلته الملائكة، لتكتمل حلقة الترابط بين بداية السورة) أهوال القيامة (ووسطها) تسجيل الأعمال (وختامها) العدالة المطلقة وانفراد الله بالأمر يوم الدين.(
التناسب بين خاتمه سورة التكوير وافتتاحية سورة الانفطار
التناسب بين خاتمة** سورة التكوير **وافتتاحية** سورة الانفطار **يُعد نموذجاً بليغاً ومحكماً آخر من التلاحم القرآني الفريد بين السور المتتالية، حيث تتصل الخاتمة بالافتتاحية اتصال العلة بمعلولها والمقدمة بنتيجتها.
أولا ً: دراسة خاتمة سورة التكوير
تختتم سورة التكوير بتقرير حرية الاختيار الإنساني تحت مظلة المسؤولية الفردية والارادة الإلهية:
* قوله تعالى:}** إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] **{التكوير: 27 -.[29
ثانياً: دراسة افتتاحية سورة الانفطار
تبدأ سورة الانفطار ببيان مشاهد أهوال يوم القيامة وانفطار السماء تمهيداً لوقوع الجزاء:
* قوله تعالى:}** إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ] **{الانفطار: 1 -.[4
ثالثاً: وجوه التناسب والارتباط
1. الارتباط الموضوعي) من التكليف والاختيار إلى نتيجة الجزاء(
** * خاتمة التكوير **وضعت الإنسان أمام مسؤوليته واختياره) من شاء أن يستقيم(، وحددت أن الأ مر كله بيد رب العالمين.

** * افتتاحية الانفطار **جاءت لتكشف عن** النتيجة والمآل **المترتب على هذا الاختيار؛ فإذا انقضت الدنيا وانتهت مرحلة التكليف والاختيار، جاءت أهوال القيامة) انفطار السماء وبعث القبور (ليبدأ الحساب والجزاء على ذلك الاستقامة أو الاعوجاج.
.2 التناسب المعنوي) شمول قدرة الله وسلطانه(
* ختمت سورة التكوير بتقرير وحدانية الله وسيادة مشيئته}**) رَبُّ العَالَمِينَ.(**{
* وافتتحت سورة الانفطار بمشاهد قهرية تدل على خضوع الكون المطلق لقدرة هذا الرب العظيم وسلطانه يوم الدين، مما يربط بين عظمة المالك وعظمة يوم الحساب.
.3 الاستمرارية التصويرية المشهدية) تكامل مشاهد القيامة(
* تُعتبر سورة الانفطار امتداداً مباشراً للمشهد الكوني الذي بدأ في سورة التكوير؛ فسورة التكوير صورت تكوير الشمس وانكدار النجوم، وتأتي سورة الانفطار لتكمل اللوحة بانفطار السماء وانتثار الكواكب وتفجير البحار وبعث القبور، مما يصنع تسلسلا ً تصويرياً متصلا ً ومتصاعداً لإنهاء هذا العالم وإقامت الدار الآخرة
القضايا التى تعالجها السورة.
تعالج سورة** الانفطار **مجموعة من القضايا العقدية والتربوية والأخلاقية الكبرى التي تدور حول بناء الضمير الإنساني واستعداده للدار الآخرة، وتتجلى أهم هذه القضايا في الآتي:
.1 قضية أهوال القيامة وتغير النظام الكوني
* تعالج السورة قضية الغفلة عن الآخرة من خلال تصوير مشاهد هائلة لانفراط عقد الكون وانفطار السماء، وانتثار الكواكب، وتفجير البحار، وبعث القبور، لتؤكد أن هذا العالم المادي زائل وأن لقاء الله حق واقع لا محالة.
.2 قضية توبيخ الإنسان على الغرور والتمرد
* تواجه السورة نزعة الكبرياء والجحود لدى الإنسان حين يغتر بحلم الله وإمهاله، فتعالجه بتأنيب وتذكير لطيف بأصله المادي وضعفه ونعمة الخلق والتسوية عليه:}** يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ * الذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ] **{الانفطار: 6 -.[7
.3 قضية الرقابة الإلهية الدقيقة وتسجيل الأعمال
* ترسيخ قضية الحساب من خلال بيان أدواته الواقعية، وهي رصد الملائكة الكرام لكل أفعال العباد وأقوالهم بدقة بالغة لا تهمل شيئاً}**) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ(**{، مما يغرس خلق الحياء والمراقبة الذاتية في السر والعلن.
.4 قضية العدالة المطلقة ومصير الفريقين) الجزاء(
* تعالج السورة قضية التميز القيمي بين البشر بناءً على أعمالهم، مبينة المآل النهائي بوضوح تقابلي جلي: إما نعيم دائم للأبرار، وإما جحيم مقيم للفجار يوم الدين}**) إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ.(**{
.5 قضية انفراد الله تعالى بالسلطان المطلق يوم القيامة
* تقرر السورة بوضوح بطلان كل تعلق بغير الله أو استناد إلى قوى دنيوية في ذلك اليوم العصيب، حيث تنقطع الوساطات ويتلاشى سلطان البشر، ويكون الحكم لله وحده لا شريك له:}** يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ] **{الانفطار:
خصائص سورة الانفطار وفضائلها وما انفردت به من خصائص موضوعيه واسلوبيه :
أولا ً: خصائص سورة الانفطار
.1 الإيقاع الصوتي المتجانس) فواصل التسكين(
* تتميز السورة بفواصلها القرآنية التي تنتهي بحروف مكسورة ومدودة ساكنة عند الوقف) مثل: انْفَطَرَتْ، انْتَثَرَتْ، فُجِّرَتْ، بُعْثِرَتْ(، وهو إيقاع صوتي سريع ومؤثر يعكس حالة التزلزل والاضطراب الكوني الشامل.
.2 الأسلوب الاستفهامي التوبيخي المباشر
* انفردت السورة بالتوجه المباشر لقلب الإنسان بأسلوب استهلالي عتابي رقيق لكنه هزاز للوجدان: }**يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ**{، وهو أسلوب فريد في إيقاظ الضمير وتعرية الغرور البشري.
.3 الوضوح المباشر في عرض التقابل النفسي
* تمتاز بتقديم التقابل بين المآلات بعبارات قصيرة وحاسمة ومباشرة لا تحتمل اللبس، مثل قوله تعالى:}** إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**{، لتثبيت حقيقة الجزاء بتركيز عال.
ثانياً: فضائل سورة الانفطار
** * الارتباط برؤية القيامة عياناً: **تندرج سورة الانفطار ضمن السور التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن قراءتها تقرب مشاهد الآخرة إلى قلب المؤمن كأنه يراها رأي العين.
* وقد سبق ذكر الحديث الشريف الجامع في ذلك) عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:}** من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين، فليقرأ:} إذا الشمس كورت{، و}إذا السماء انفطرت{، و}إذا السماء انشقت.(**{{
ثالثاً: ما انفردت به سورة الانفطار

** 1. الاقتران الفريد بين إكرام الله وجحود الإنسان:**
* انفردت بجمع اسم الله الكريم}**) بِرَبِّكَ الكَرِيمِ (**{مع مقام العتاب والتقريع للإنسان على جحوده وغروره، وكأن الآية تقرر قاعدة: كيف تجترئ على معصية رب اتصف بالكرم والإفضال المطلق ؟ وهو اقتراب لطيفي فريد في باب التربية بالحب والحياء لا بالتخويف وحده.
** 2. التصريح الدقيق بطبيعة عمل الملائكة الحافظين:**
* على الرغم من ذكر الملائكة في مواضع متعددة، إلا أن سورة الانفطار انفردت بالتركيز التعبيري المباشر على التوصيف الوظيفي الدقيق لأدوات الرقابة والتدوين الدائم}**) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ(**{، مما يجعلها مرجعاً أساسياً في تقرير ثقافة المراقبة الذاتية.

مقاصد السورة

مقاصد** سورة الانفطار **الكبرى تدور حول غاية أساسية واحدة وهي:** "بناء الوعي الرقابي لدى الإ نسان، وتوثيق صلته بيوم الحساب والجزاء"**، وتتفرع هذه المقاصد إلى الغايات الآتية:

1. مقصد إيقاظ الضمير وإنهاء الغفلة) المقصد الكوني(
* ترسيخ اليقين بأن هذا الكون العظيم محكوم بقهر الله وإرادته، وأنه بانفطار سمائه وانكشاف أسراره يُعلن انتهاء دار الابتلاء وبداية دار الحساب، مما يحرر قلب الإنسان من التعلق المبالغ فيه ب الدنيا الفانية.

2. مقصد علاج الغرور الإنساني) المقصد الأخلاقي والتربوي(
* كسر حدة الكبرياء والتمرد لدى الإنسان عبر تذكيره بنعمة ربه الذي خلقه فسواه وعدله، وتوبيخه بلطف على جحوده لإنعام الخالق وكرمه}**) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ.(**{

3. مقصد ترسيخ المراقبة الذاتية والحياء الإلهي) المقصد العقدي والعملي(
* غرس اليقين الدائم بأن الإنسان غير مهمل، بل وُكل به ملائكة كرام كاتبون يحصون عليه داقات ا لأعمال وجلائلها، مما يدفع المسلم للحرص الشديد على طاعة الله ومراقبته في السر والعلن }**)يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ.(**{

4. مقصد إثبات العدالة المطلقة وحتمية الجزاء) المقصد الأخروي(
* توجيه أنظار الإنسان بوضوح إلى مآله الأخير؛ ليدرك أن الأعمال لن تضيع، وأن المصير محتوم بين فريقين لا ثالث لهما: نعيم مقيم للأبرار، أو جحيم مقيم للفجار}**) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ.(**{

5. مقصد تجريد التعلق بغير الله وإثبات وحدانية السلطان) المقصد التوحيدي(
* تربية القلب الإنساني على انقطاع الأسباب والوساطات يوم القيامة، وتوطينه على حقيقة أن الأمر كله لله وحده لا شريك له يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً}**) وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ.(**{

الرساله الكبرى لسورة الانفطار

الرسالة الكبرى لسورة** الانفطار **تتمحور حول:** "إيقاظ الضمير الإنساني عبر استشعار الرقابة الإلهية الدقيقة، والاستعداد ليوم الحساب والجزاء الأكبر حيث ينقطع كل سلطان دوني ولا أمر إلا لله."**
وتتجلى هذه الرسالة الكبرى في شقين متكاملين:
** 1. الشق التربوي والأخلاقي: **معالجة غرور الإنسان وتمرده بتذكيره بنعمة ربه الكريم وأصله، وغرس اليقين المطلق بأن أفعاله وأقواله مرصودة ومكتوبة بدقة من قِبل ملائكة كرام حافِظين }**)يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ.(**{
** 2. الشق الأخروي والتوحيدي: **تأكيد أن هذا الكون بزواله وأهواله ما هو إلا توطئة لفصل القضاء وظهور العدالة المطلقة بانقسام الناس إلى فريقين) أبرار في نعيم، وفجار في جحيم(، وانفراد الله وحده بالسلطان المطلق يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً}**) وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ.(**{

سورة الانفطار
تفسير الآية الأولى من سورة الانفطار

}إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ{

المقدمة: قراءة الآية كحقيقة كبرى
ينبغي أن نقرأ هذه الآية الكريمة لا كخبر عن حدث مستقبلي فقط ، بل كـ"حقيقة كونية" تخاطب وعي الإنسان في كل زمان ومكان .إنها ليست مجرد مشهد من مشاهد القيامة، بل هي منهج حياة، ونافذة على فلسفة الوجود، ودعوة مفتوحة لإعادة تشكيل نظرتنا للكون ولأنفسنا.

أولا ً: المعنى اللغوي والمفهومي للانفطار

الانفطار في اللغة مشتق من "الفطر" الذي يعني الشق والانصداع الطولي، وهو يختلف عن "الانشقاق" في دقة المعنى؛ فالانفطار يشير إلى مرحلة التصدع الأولي وفقدان التماسك الهيكلي، بينما الانشقاق

هو مرحلة التمزق الكامل .وهذا الفرق يحمل دلالة بالغة الأهمية: فالسماء التي تبدو لنا اليوم سقفاً محفوظاً ونظاماً مغلقاً يحمينا، ستتحول في لحظة الانفطار إلى نظام مفتوح، حيث تنهار الحواجز التي تفصلنا عن الغيب، وتزول الأغطية لتكشف كل حقيقة .إنه إيذان ببدء مرحلة "المكاشفة" التي لا رجعة فيها.

والمتأمل في صيغة الفعل "انفطرت" المبني للمجهول دون ذكر فاعل، يدرك إشارة بالغة إلى عظمة من يُحدث هذا التحول الكوني، وكأن السماء تفطرت بذاتها من هول الأمر وهيبة من يدبره.

ثانياً: سر استخدام الفعل الماضي لمستقبل القيامة

وهنا نقف أمام واحدة من أروع أساليب البيان القرآني في التعامل مع الزمن .إن استخدام الفعل الماضي "انفطرت" للحديث عن أحداث المستقبل يحمل ثلاث دلالات عميقة:

أولا ً: تحقيق الوقوع، ففي اللغة العربية، استخدام الماضي للمستقبل يعني أن الأمر متحقق الوقوع لا محالة، كأنه في حكم المنتهي والمقضي .وهذا ينقل النفس من دائرة الشك والتردد إلى دائرة اليقين والامتثال.

ثانياً: كسر حاجز الزمن، فالإنسان سجين الزمن بماضيه وحاضره ومستقبله، أما الله تعالى فهو خالق الزمن ولا يخضع لقوانينه .فالقرآن بهذا الأسلوب يخاطب العقل البشري ليرفعه فوق سجن اللحظة الحالية، ويدربه على النظر إلى المشهد من زاوية الرؤية الإلهية التي تستوعب الزمن كله في لحظة واحدة.

ثالثاً: إحداث الاستعداد الفوري، فلو قيل "إذا ستنفطر السماء" لانتظر الإنسان حدثاً مؤجلا ً في المستقبل البعيد، مما يبعث على الغفلة والتسويف .أما قوله "انفطرت" بصيغة الماضي فيخلق حالة من الاستنفار الروحي، وكأن الحدث على الأبواب، فيتحول الإنسان من التسويف إلى المبادرة، ومن الا نتظار إلى العمل.

وهذا الأسلوب القرآني يعلمنا استراتيجية الاستبصار في حياتنا؛ فنحن لا نتعامل مع أهدافنا الكبرى وكأننا نجرب، بل نعمل وكأننا ننجز أمراً مقدراً، وهذه هي القوة الدافعة التي تجعل الناجحين يسبقون غيرهم في ميادين الإنجاز.
ثالثاً: دلالة الانفطار وأبعادها المتعددة

تتسع دلالات هذه الآية الكريمة لتشمل أبعاداً نفسية وفكرية وتربوية وعملية، لكل منها رسالتها الخاصة:

الدلالة النفسية تنبع من أن السماء تمثل في اللاوعي الجمعي للإنسان رمز "السقف الآمن" و"الملجأ" . ففطرها يولد رعباً وجودياً، وانهياراً لأعمق مشاعر الأمان البشري .لكن هذا الرعب ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة لكسر الغفلة وإيقاظ الوعي .الإنسان يعيش في حالة اعتياد تجعله يظن أن حياته ستستمر كما هي، فينشغل بالتوافه، وهذا المشهد المخيف هو صدمة كهربائية للوعي تحطم طمأنينته الكاذبة وتدفعه لإدراك عمق مسؤوليته.

الدلالة الفكرية تكمن في إبطال فكرة أزلية الكون التي يروجها الدهريون والملحدون، فالحقيقة ليست في جمود السماء واستمرارها، بل في قدرة خالقها على تغييرها وتبديلها متى شاء .هذا يزرع في العقل الإنساني يقيناً بأن كل ما يراه ثابتاً هو في الحقيقة زائل، وأن الثبات الحقيقي إنما هو للخالق وحده.

الدلالة التربوية تعلم العبد أن لا يربط ثباته النفسي والأخلاقي بثبات الماديات من حوله، فكل ما يراه ثابتاً في هذه الحياة معرض للزوال، والاطمئنان الحقيقي إنما يكون بالارتباط باللّٰه الواحد القهار الذي لا تزول قدرته ولا تفنى ذاته.

الدلالة العملية تدعو المؤمن إلى أن يكون في حالة تأهب دائم، يستحضر عظمة الله في كل لحظة، ويتضرع إليه بخشوع أن يثبت قلبه حين تهتز السماوات وتتزلزل الأرض.

رابعاً: لماذا بدأ الله مشاهد القيامة بالسماء؟

إن بدء السورة بمشهد السماء قبل الأرض والإنسان يحمل حكماً تربوية دقيقة تعكس هندسة التنبيه القرآني:

أولاً: مبدأ الاستعلاء، فالإنسان بطبعه يميل إلى الانشغال بالأرض وما عليها من مادة ورزق ومشاكل يومية، فبدأ القرآن بالسماء ليخرج وعي الإنسان من ضيق المنظور الأرضي إلى سعة المنظور الكوني. عندما ينهار السقف العظيم، تصبح كل مشاكل الأرض تبدو صغيرة وثانوية، وهذا يعيد ترتيب الأولويات في حياة الإنسان.

ثانياً: استعراض السلطة والقدرة، فالسماء هي أعظم ما يراه الإنسان من آيات الله وأكثرها إحكاماً واتساعاً. فإذا كان هذا البناء الشاهق الذي نراه ثابتاً سيمضي إلى التغيير والانهيار، فما بالك بالأرض الهشة أو بكيان الإنسان الضعيف؟ البدء بالسماء هو صدمة العظمة التي تحطم كبرياء النفس وتذلل الجباه للخالق القادر.

ثالثاً: ترتيب التبعية، فالسماء هي المظلة التي تضبط إيقاع الأرض، فبمجرد أن يضطرب النظام العلوي، يتبع ذلك بالضرورة اضطراب النظام السفلي من كواكب وبحار وقبور. وهذا الترتيب يعلمنا أن العلة في الأعلى، والأثر في الأسفل، وهي رسالة تربوية عميقة عن نظام السببية في الكون.

أما أثر هذا المشهد في القلوب فهو عميق ومتعدد: فهو يزلزل القلوب التي تعيش غافلة فتظن أن الدنيا دار قرار، فيدرك الإنسان أن الأمان الذي يبحث عنه في الدنيا هو أمان وهمي. وهذا التزلزل ليس للرعب والانكسار، بل للاستيقاظ والانتباه، ليعيد القلب ترتيب أولوياته حول الحقيقة الثابتة وهي الله. كما يعمل هذا المشهد على قصر الأمل، فتسقط مشاريع الدنيا من الحساب، وينقطع حبال التسويف، فإذا كانت الدنيا بكل سعتها ستنفطر، فهل يستحق مشروع دنيوي أن يؤجل لأجله الالتزام بالحق أو تطوير الذات؟

خامساً: تغذية الذهن والنفس والروح

تعمل هذه الآية الكريمة كمنظومة تغذية متكاملة لكيان الإنسان بأكمله:

الذهن يتغذى بالتفكر والمنطق، حيث تقدم الآية للعقل نموذجاً للسيستم الكوني، مما يجعله يفكر في القوانين والنتائج والتبعات، بدلاً من التفكير السطحي الذي يقتصر على الظواهر. فالمؤمن المفكر لا يكتفي برؤية السماء كما هي، بل يتساءل عن حقيقتها ومآلها، وعن سر إحكامها ثم انفطارها، وهذا يقوده إلى إدراك سنن الله في خلقه.

النفس تتغذى بالمحاسبة واليقظة، فالآية توقف النفس أمام المرآة، وتجبرها على النظر في سجل أعمالها. إنها دعوة صريحة للتوقف عن الادعاء والغرور، والانكباب على مراجعة الذات في ضوء ما قدمت وما أخرت. النفس التي تعيش في غمرة الانشغال بالدنيا تحتاج إلى هذه الصدمة العادلة لتعود إلى رشدها.

الروح تتغذى بالتسليم والسكينة، فعندما تدرك الروح أن كل هذا الكون خاضع لإرادة الله، ترتاح وتطمئن في كنف الخالق، متحررة من الخوف من المجهول. التسليم المطلق لله هو قمة السكينة النفسية، وهو ما يمنح المؤمن قوة لا تهزها تقلبات الدنيا ولا تغيراتها.

سادساً: التفكير الكوني كمنهج حياة

ترسي هذه الآية الكريمة مفهوماً عميقاً يمكن تسميته بـ"التفكير الكوني"، وهو نقلة نوعية من التفكير الفردي الضيق إلى الوعي الشمولي. إن الله لا يرينا انهيار السماوات والبحار لنشعر بالرعب فحسب، بل ليجبر عقولنا على التحرر من سطوة المنظور المحلي المحدود.

التفكير الكوني يعني أن يدرك الإنسان نفسه كجزء من منظومة أكبر، لا ككائن يعيش في حيز جغرافي محدود، بل ككائن يتنفس داخل مختبر إلهي شاسع. لهذا التفكير أبعاد متكاملة: البعد المكاني الذي يدرك فيه أن الأرض ليست المركز بل نقطة في فضاء سحيق، والبعد الزماني الذي يدرك فيه أن عمر الإنسان لحظة في عمر الكون، والبعد التكليفي الذي يدرك فيه أن القوانين التي تحكم المجرات هي نفس القوانين التي تحكم أخلاقياته، فالتوازن في الكون يستوجب التوازن في النفس.

وهذا المفهوم يترجم في الواقع التربوي إلى قيم متعددة: فهو يغرس الإيمان اليقيني باليوم الآخر،

ويدفع إلى التواضع وكسر الغرور، ويمنح الجرأة في الحق والثبات عليه، وينمي قوة الملاحظة والتدبر في تفاصيل الحياة.

سابعاً: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

تغير هذه الآية الكريمة نظرتنا للحياة من خلال عدة محاور رئيسية:

أولا ً: إعادة تعريف الأمان، فبدلا ً من أن نبحث عن الأمان في الماديات أو المناصب أو العلاقات الزائلة، تدفعنا الآية إلى إدراك أن الأمان الحقيقي إنما هو في الارتباط بالله، فكل ما سواه زائل .هذا التصور يحرر الإنسان من التعلق الزائد بالأشياء، ويمنحه سلاماً نفسياً لا يتزعزع.

ثانياً: ترسيخ مفهوم المسؤولية، فالآية تضعنا أمام حقيقة أن أعمالنا هي هويتنا الوحيدة في لحظة الا نهيار الكوني، فلا ينفع المال ولا الولد ولا الجاه، وإنما ينفع العمل الصالح والأثر الطيب .وهذا يدفع الإ نسان إلى العناية بما يقدمه من عمل وما يتركه من أثر.

ثالثاً: إعادة ترتيب الأولويات، فعندما يدرك الإنسان أن السماء ستنفطر والأرض ستتبدل، فإنه بالضرورة يعيد النظر في أولوياته، ويجعل ما هو باقٍ أولى بالاهتمام مما هو زائل .هذه إعادة هيكلة كاملة لنظام القيم في الحياة.

رابعاً: إحياء الأمل، وقد يبدو غريباً أن مشهد الانفطار المخيف يبعث الأمل، لكن الحقيقة أن تذكر زوال الدنيا يبعث في المؤمن أملا ً كبيراً في لقاء الله، ويحفزه على الاستعداد لذلك اللقاء، وهذا الأ مل هو ما يمنح الحياة معنى وغاية.

ثامناً: التقاط الإشارات والإنذارات في واقعنا المعاصر

تعلمنا هذه الآية مهارة حياتية بالغة الأهمية وهي التقاط الإنذارات والإشارات المبكرة .فالانفطار ليس مجرد حدث كوني في المستقبل، بل هو نموذج للصدوع والتحولات التي تسبق الانهيارات في حياتنا اليومية.

في واقعنا المعاصر، نرى انفطارات متعددة: في المؤسسات التي تهمل قوانينها، وفي المجتمعات التي تتراجع قيمها، وفي النفوس التي تبتعد عن رشدها .هذه الانفطارات هي إنذارات ودعوات للتدخل قبل فوات الأوان.

كمتعلم وباحث، فإن وظيفتك أن تكون رادارا أخلاقياً يرى هذه الصدوع مبكراً، لا لتنتقد فقط، بل لتصلح أو تنبه .وعندما ترى تراجعاً في العدل أو في القيم، فاعتبره صوت انفطار يطلب منك أن تقدم خيراً أو إصلاحاً لتمنع وقوع الانشقاق الكامل .وهذه هي المسؤولية الفردية التي تحمي المجتمعات من الانهيار.

تاسعاً: الفرق بين الانفطار والانشقاق في الفلسفة الحضارية

التمييز بين الانفطار والانشقاق ليس مجرد تمييز لغوي، بل هو تمييز بين مرحلتين في حياة الأمم و المجتمعات والأفراد:

الانفطار يمثل حالة التهيؤ للتحول، وفقدان التماسك الهيكلي، وبداية الخلخلة التي تسبق الانهيار الكبير .إنه صوت التنبيه الذي يكسر رتابة المعتاد ليجبر الإنسان على الالتفات والمراجعة.

الانشقاق يمثل حالة التمزق والنتيجة، وحدوث الفجوة الواضحة، واكتمال التصدع حتى يظهر ما وراءه .إنها المرحلة الانتقالية التي لا رجعة فيها.

وفي فلسفة الخطاب القرآني، نجد أن الانفطار في سورة الانفطار يركز على النفس ومسؤوليتها:{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ}، بينما الانشقاق في سورة الانشقاق يركز على استجابة الكون للأمر الإلهي: {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ}.

هذا التمييز يعلمنا أن نتعامل مع انفطارات حياتنا اليومية بوعي، فنرى الصدوع التي تظهر في نظام عملنا أو في قيم مجتمعنا، ونبادر بالإصلاح قبل أن تتفاقم إلى انشقاق لا رجعة فيه.

عاشراً: الخواطر المستفادة وكيفية استشعارها

عند تدبر هذه الآية الكريمة، تتولد في النفس خواطر متعددة يمكن استثمارها في الحياة العملية:

خاطرة الخشوع والإنابة، فاستشعار عظمة المشهد الكوني يدفع الإنسان إلى الخشوع لله والإنابة إليه . ويمكن تطبيق ذلك في الصلاة حيث تستحضر هذا المشهد فتخشع جوارحك، وفي الدعاء حيث تتضرع إلى الله بخشوع أن يثبت قلبك حين تهتز السماوات.

خاطرة المراجعة والمحاسبة، وتنبع من الربط بين انفطار السماء وعلم النفس بما قدمت وأخرت . ويمكن تطبيقها بتخصيص وقت يومي للمراجعة الذاتية، تسأل فيه نفسك: ماذا قدمت اليوم من خير؟ وماذا أخرت من تقصير؟ وهل هناك صدوع في حياتي تحتاج إلى ترميم؟

خاطرة التواضع وكسر الغرور، فمن يستشعر ضآلة نفسه أمام عظمة الكون المتغير، يذوب غروره ويتواضع للخلق .ويمكن تطبيق ذلك في التعامل مع الناس، فلا تتكبر عليهم بعلم أو مال أو منصب، وتذكر أن كل شيء زائل.

خاطرة قصر الأمل والجدية في العمل، فاستشعار زوال الدنيا يدفع الإنسان إلى الجدية في العمل وعدم التسويف .ويمكن تطبيق ذلك بوضع خطط عمل واضحة، وعدم تأجيل الخير، واستثمار الوقت في ما ينفع في الآخرة والدنيا.

خاطرة التسليم والرضا، فعندما يوقن الإنسان بأن الله هو المدبر لكل شيء، يسلم أمره لله ويرضى بقضائه .ويمكن تطبيق ذلك بالصبر على المصائب، والتسليم للأقدار، والرضا بما قسمه الله.

رسالة الختام: الآية كمنهج حياة

إن الآية الأولى من سورة الانفطار ليست مجرد مشهد من مشاهد القيامة، بل هي منهج حياة متكامل يربي في الإنسان الوعي الكوني، والمسؤولية الفردية، واليقين بالآخرة، والمراقبة الذاتية .إنها تخرج الإ نسان من قوقعة الأنانية والتفكير الضيق إلى فضاء التوحيد الشاسع، وتضعه في موقعه الحقيقي كخليفة في أرض الله، مؤتمن على رسالة عظيمة.

إنها تعلمنا أن الحياة ليست مجرد لحظات نعيشها ونساها، بل هي مسيرة خيرة ومحطة حساب .كل عمل نعمله، وكل كلمة نقولها، وكل أثر نتركه، هو مسجل في صحائفنا، وسنلقاه يوم تنفطر السماء وتنثر الكواكب وتفجر البحار.

فيا طالب المعرفة، ويا باحثاً عن الحقيقة، اجعل هذه الآية نافذتك على الوجود، ودافعك للعمل، ومعيارك في المحاسبة .عش حياتك كأن السماء ستنفطر غداً، فتجتهد في الخير، وتتعالى على الصغائر ، وتسمو بروحك إلى آفاق العبودية الخالصة لله الواحد القهار.

ثانيا

تفسير الآية الثانية من سورة الانفطار

{وَإِذَا الكوَاكِبُ انتَثَرَتْ}

المقدمة: من انفطار السماء إلى انتثار الكواكب

بعد أن رسمت الآية الأولى مشهدها المهيب بانفطار السماء، تأتي الآية الثانية لتضيف طبقة جديدة من الهول الكوني. فإذا كانت السماء قد تشققت وتصدعت، فإن الكواكب التي تسكن ذلك الفضاء الشاسع ستنتثر وتتطاير في كل اتجاه.

إنها خطوة أخرى في سلم التصعيد القرآني، حيث ينتقل المشهد من انهيار الهيكل العظيم (السماء) إلى تفتت محتوياته (الكواكب). كأن الآيات تقول: ليس فقط السقف سينهار، بل كل ما في ذلك السقف من نجوم وزينة سيتناثر كالدر المنثور.

والمتأمل في هذا الانتقال يجد دقة بالغة: السماء انفطرت أي تشققت، والكواكب انتثرت أي تبدد نظامها. إنه انتقال من مرحلة التشقق إلى مرحلة التفتت، ومن الصدمة الأولى إلى الفوضى الكاملة،

ومن الانهيار الهيكلي إلى الانهيار التفصيلي.

أولاً: المعنى اللغوي والمفهومي للانتفار

انتثرت من النثر، وهو التفريق والتبعثر والانتشار في كل اتجاه. والنثر في اللغة هو رمي الشيء وتفريقه، يقال نثر الدر أي فرقه وبدده. والانتثار هو التطاير والتباعد بعد اجتماع وانتظام.

الفرق بين الانتفار والانفطار:

· الانفطار: شق وصدع في البناء الكلي (السماء ككل).
· الانتثار: تفتت وتناثر للأجزاء المفردة (الكواكب كعناصر).

فالسماء انفطرت كسقف تشقق، والكواكب انتثرت كقطع ذلك السقف التي تساقطت وتطايرت. إنهما مشهدان متكاملان: الأول يصور انهيار الإطار، والثاني يصور تفتت المحتوى.

الدلالة اللغوية العميقة: استخدام كلمة "انتثرت" بدلاً من "سقطت" أو "تكسّرت" يحمل إيحاءً بالانتشار الواسع والتفريط الكامل. الكواكب لا تسقط فقط، بل تنتشر في كل اتجاه، وكأن قوة هائلة قد مزقتها وقذفت بأجزائها في الفضاء اللامتناهي.

ثانياً: الكواكب في الوعي الإنساني

قبل أن نتعمق في دلالة انتثارها، يجب أن نتأمل مكانة الكواكب في وعي الإنسان:

في الوعي القديم: كانت الكواكب والنجوم تُعتبر آلهة أو كائنات مقدسة، وكان الناس يعبدونها ويطلبون منها البركة والحماية. كانت رمزاً للخلود والثبات، لأنها تبدو ثابتة في مكانها منذ آلاف السنين.

في الوعي الحديث: أصبحت الكواكب عالماً للاستكشاف والفضول العلمي. لكنها ما زالت تحتفظ في النفس البشرية بمكانة خاصة، فهي رمز للاتساع والدهشة والعظمة.

في الوعي القرآني: الكواكب ليست آلهة، وليست مجرد أجرام مادية، بل هي آيات لله تدل على عظمته وقدرته. وفي يوم القيامة، ستتحول هذه الآيات من دلالة على القدرة إلى دلالة على الهول و الزوال.

الرسالة: عندما تنتثر الكواكب، ينهار كل ما بناه الإنسان من تصورات عن الثبات والخلود. الكواكب التي ظنها الناس خالدة أو مستقرة، ستثبت أنها مجرد أجرام مسخّرة بإرادة خالقها، تتحرك بأمره وتتوقف بأمره وتنتثر بأمره.

ثالثاً: لماذا الكواكب تحديداً؟

ثمة حكمة بالغة في اختيار الكواكب بالذكر دون غيرها من الأجرام السماوية:

الحكمة الأولى: عظمتها في عين الإنسان. الكواكب هي أكبر ما يراه الإنسان من مخلوقات الله. بعضها أكبر من الأرض بآلاف المرات. فإذا كانت هذه العمالقة ستنتثر، فأي شيء في الكون يبقى ثابتاً؟ إنها رسالة مباشرة للإنسان الذي يتعاظم بنفسه: الكواكب العظيمة تنتثر، فكيف بك أنت أيها الإنسان الصغير؟

الحكمة الثانية: نظامها المحكم. الكواكب تسير في أفلاك محددة بدقة متناهية، لا تتصادم ولا تختلط ولا تحيد عن مسارها. هذا النظام هو أعجوبة في حد ذاته. وإذا كان هذا النظام المتقن سينهار وينتثر، فهذا دليل على أن الله قادر على نسف أي نظام متى شاء، مهما بدا محكماً.

الحكمة الثالثة: ارتباطها بحياة الإنسان. الكواكب تؤثر في حياة الإنسان بطرق متعددة: الضوء، الحرارة، المد والجزر، الفصول. فإذا انتثرت هذه الكواكب، انتهت كل هذه الأنظمة التي يعتمد عليها الإنسان في حياته.

الحكمة الرابعة: علاقتها بعبادة الإنسان. كثير من الناس كانوا وما زالوا يعبدون الكواكب والنجوم. فانتثارها هو إعلان بأن هذه المعبودات الباطلة لا تنفع ولا تضر، وأنها مجرد مخلوقات ضعيفة زائلة.

رابعاً: الدلالات المتعددة لانتثار الكواكب

الدلالة المادية: التفتت الفعلي للكواكب، حيث تتحطم وتتطاير أجزاؤها في الفضاء. هذا يتوافق مع ما يعرفه العلم الحديث عن إمكانية تصادم النجوم أو انفجارها، لكنه يتجاوز ذلك إلى نهاية مطلقة لكل نظام كوني.

الدلالة النفسية: الكواكب تمثل في نفس الإنسان رمز "الأمان البصري" و"الثبات الظاهر". فالإنسان ينظر إلى السماء ليلا ً فيرى الكواكب ثابتة، فيشعر بالاطمئنان والاستقرار. انتثار هذه الكواكب يعني انهيار آخر معاقل الأمان النفسي للإنسان. إنه شعور بأن الأرض التي تقف عليها لم تعد ثابتة، والسماء التي تنظر إليها لم تعد آمنة.

الدلالة الفكرية: انتثار الكواكب يحطم كل النظريات المادية التي ترى الكون أزلياً. فالمادة التي ظن الملحدون أنها قديمة أبدية، ثبت أنها حادثة وزائلة. الكون له بداية وسيكون له نهاية، وهذا ما تؤكده العلوم الحديثة بنظرية الانفجار العظيم والموت الحراري للكون.

الدلالة التربوية: تعليم العبد أن لا يعلق قلبه بأي شيء في هذا الكون مهما بدا كبيراً وعظيماً. الكواكب العظيمة تنتثر، فكيف بالبيوت والعقارات والمناصب والثروات؟ كل شيء زائل، والباقي هو وجه الله والعمل الصالح.

الدلالة الروحية: انتثار الكواكب هو إعلان عن قرب الساعة، وأن العالم المادي في طريقه إلى الزوال. هذا يدفع المؤمن إلى التوبة والاستغفار والتقرب إلى الله قبل فوات الأوان.

خامساً: العلاقة بين انتثار الكواكب وانفطار السماء

هذه العلاقة هي سر من أسرار البلاغة القرآنية، وتكشف عن بناء محكم للمشهد الكوني:

العلاقة التصاعدية: السماء انفطرت أولا ً (صدمة البداية)، ثم الكواكب انتثرت (تفاقم الصدمة). وكأن المشهد يتصاعد في هوله تدريجياً، ليصل إلى ذروته في الآيات التالية.

العلاقة التكميلية: انفطار السماء يصور انهيار الإطار العظيم، وانتثار الكواكب يصور تفتت المحتوى. معاً يصوران دماراً شاملا ً لا يترك شيئاً.

العلاقة السببية: يمكن القول إن انفطار السماء هو سبب في انتثار الكواكب، فالسقف إذا تشقق فإن ما فيه يتساقط وينتشر. لكن الحقيقة أن كليهما يحدث بأمر الله في آن واحد.

العلاقة البصرية: المشهد المتخيل هنا مذهل: السماء تتشقق، ومن خلال التشققات تبدأ الكواكب في التطاير والانتشار في كل اتجاه. إنه مشهد سينمائي يحمل كل عناصر الرعب والدهشة.

سادساً: التصوير البياني للآية

القرآن يستخدم هنا تقنية تصويرية عالية الدقة:

التصوير بالحركة: الفعل "انتثرت" يحمل حركة سريعة ومتطايرة. ليست مجرد سقوط، بل انتشار وتناثر في كل اتجاه. الكواكب لم تسقط كالحجارة، بل تطايرت كالدر المنثور.

التصوير بالمفاجأة: الكواكب التي كانت منظمة في أفلاكها، تنتثر فجأة. هذا التضاد بين النظام السابق والفوضى اللاحقة يخلق مفاجأة مذهلة.

التصوير بالشمول: الانتفار يشمل كل الكواكب، ليس كوكباً واحداً أو مجموعة، بل كلها. هذه الشمولية تزيد الهول وتعمق الصدمة.

التصوير بالتكامل: الآية تأتي مع الآيات التي قبلها وبعدها لتشكل لوحة كونية متكاملة. كل مشهد يكمل الآخر، وكل صورة تضيف بعداً جديداً.

سابعاً: تأثير المشهد في النفس البشرية

الخوف الوجودي: عندما يتخيل الإنسان كواكب عظيمة تنتثر، فإنه يشعر بخوف وجودي عميق. ليس خوفاً من شيء معين، بل خوفاً من زوال كل شيء. هذا الخوف إذا تم توجيهه بشكل صحيح، يصبح دافعاً للعمل الصالح والتقرب إلى الله.

التواضع الكوني: الإنسان الذي يرى نفسه صغيراً أمام الكواكب، يزداد تواضعاً عندما يعلم أن هذه الكواكب ستنتثر. كيف لا يتواضع وهو أصغر من أن يذكر؟ كيف لا يخضع وهو أضعف من أن يقاوم؟

التساؤل الوجودي: هذا المشهد يدفع الإنسان إلى التساؤل: لماذا كل هذا؟ ما هو الهدف من هذا الكون ؟ ما هو مصيري أنا؟ هذه التساؤلات هي بداية الطريق إلى الإيمان واليقين.

الأمل والتجديد: قد يظن البعض أن مشهد الانتثار يبعث على اليأس، لكن الحقيقة أنه يبعث على الأ مل. فزوال الكون المادي يعني بداية حياة جديدة، حياة الآخرة التي لا زوال فيها ولا فناء. إنه باب ا لأمل المفتوح بعد زوال كل شيء.

ثامناً: كيف نستشعر هذه الآية في حياتنا؟

التدبر في السماء: كلما نظرت إلى السماء ليلا ً ورأيت الكواكب، تذكر أنها ستنتثر. اجعل منظر السماء تذكيراً لك بعظمة الله وهول يوم القيامة.

التفكر في النظام: الكواكب تسير بنظام دقيق. تأمل في هذا النظام وتذكر أن من نظمه قادر على نسفه. هذا يزيدك إيماناً بالله وقدرته.

مراجعة التعلق: اسأل نفسك: ما هي الأشياء التي تعلق قلبي بها في هذه الدنيا؟ هل هي مثل الكواكب التي ستنتثر؟ اجعل تعلقك بالله وحده، فإنه الباقي.

التذكير بالآخرة: اجعل انتثار الكواكب تذكيراً لك بأن الدنيا زائلة، وأن الآخرة هي دار البقاء. استعد لها بما تستطيع من عمل صالح.

التواضع: تذكر أنك أصغر من الكواكب التي ستنتثر. فلا تتكبر على أحد، ولا تتعاظم في نفسك. فكل شيء زائل، والكبرياء لا تليق إلا بالله.

تاسعاً: العلاقة بين الآية والعلم الحديث

من المذهل أن نجد التوافق بين ما أخبر به القرآن قبل أربعة عشر قرناً وبين ما توصل إليه العلم الحديث:

موت النجوم: العلم الحديث يخبرنا أن النجوم تموت وتنفجر في ظاهرة تسمى "المستعر الأعظم"، حيث تتطاير أجزاؤها في الفضاء. وهذا يشبه إلى حد كبير ما تصفه الآية من انتثار.

تمدد الكون: العلم الحديث يخبرنا أن الكون يتمدد، وأن المجرات تتباعد عن بعضها. وهذا قد يكون مقدمة لانهيار النظام الكوني كما تصفه الآيات.

نهاية الكون: العلماء يتحدثون عن سيناريوهات لنهاية الكون، منها الموت الحراري، أو الانكماش العظيم. القرآن يخبرنا عن نهاية مفاجئة ومذهلة تبدأ بانفطار السماء وانتثار الكواكب.

الرسالة: ليس المهم هنا تأكيد النظريات العلمية، بل المهم هو أن القرآن يخاطب العقل ويدعوه للتفكر والتأمل في آيات الله في الكون، وفي آياته في كتابه.

عاشراً: الخواطر المستفادة من الآية

خاطرة الزوال: كل شيء يزول، حتى الكواكب العظيمة. فلا تعلق قلبك بما هو زائل.

خاطرة القدرة: الله القادر على خلق هذه الكواكب العظيمة، هو القادر على انتثارها في لحظة. فثق بقدرته واعتمد عليه.

خاطرة النظام: الكون يسير بنظام محكم، وهذا النظام دليل على وجود خالق مدبر. فتدبر في هذا النظام تعرف ربك.

خاطرة الاستعداد: الكواكب ستنتثر، وأنت ستُبعثر من قبرك. فاستعد لهذا اليوم قبل أن يأتي.

خاطرة التوحيد: لا تعبد الكواكب ولا النجوم، فإنها مخلوقة زائلة. اعبد الله الخالق الباقي.

رسالة الختام: انتثار الكواكب كمنهج حياة

إن مشهد انتثار الكواكب ليس مجرد خبر عن المستقبل، بل هو منهج حياة متكامل يغير نظرتنا إلى كل شيء:

في علاقتنا بالله: نتعلم من الآية أن الله هو المالك المطلق، وهو القادر على تغيير أي شيء في أي وقت. فلا نثق في الأسباب، بل نثق في مسبب الأسباب.

في علاقتنا بالدنيا: نتعلم ألا نغتر بالدنيا وزينتها. الكواكب التي هي أكبر وأعظم من كل شيء في الدنيا ستنتثر، فكيف بما هو دونها من مال وجاه ومنصب؟

في علاقتنا بالنفس: نتعلم التواضع وعدم الكبر. فنحن أصغر من الكواكب التي ستنتثر، ولا قيمة لنا إ لا بعملنا الصالح.

في علاقتنا بالآخرة: نتعلم أن الآخرة هي الحقيقة الكبرى، وأن الدنيا مجرد ممر إليها. فلا ننسى الآ خرة في انشغالنا بالدنيا.

في علاقتنا بالكون: نتعلم أن الكون كله مسخر لنا، لكنه ليس غايتنا. غايتنا هي عبادة الله والوصول إلى رضوانه.

يا طالب المعرفة، ويا ساعياً إلى الحقيقة:

انظر إلى السماء كل ليلة، وتذكر أن هذه الكواكب التي تزينها ستنتثر يوماً. لا تنتظر ذلك اليوم لتستعد، بل استعد اليوم. اجعل كل نظرة إلى السماء تذكيراً لك بربك، وكل تأمل في الكواكب دعوة لك للعمل الصالح.

عش حياتك وأنت تعلم أن الكواكب تنتظر أمراً، وأنت تنتظر أمراً. الكواكب ستنتثر، وأنت ستبعثر من قبرك. فاجعل استعدادك لهذا اليوم هو شغلك الشاغل، واجعل العمل الصالح هو زادك، واليقين بالله هو سلاحك.

ثالثا

تفسير الآية الثالثة من سورة الانفطار

{وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ}

المقدمة: من أعالي السماء إلى أعماق البحار

بعد أن انفطرت السماء في مشهدها المهيب، وتناثرت الكواكب في فضاءها اللامتناهي، يأتي دور الأ رض وما عليها. لكن القرآن لا ينتقل إلى الأرض مباشرة، بل يتوقف عند البحار التي تشكل الجزء الأ كبر من سطح الكوكب، والتي تمثل في الوعي الإنساني رمزاً للعمق والغموض والثبات.

فإذا كانت السماء قد تشققت، والكواكب قد تفتت، فإن البحار - تلك المساحات الشاسعة من الماء التي نعتقد أنها أبدية - ستتفجر وتنقلب. إنها حلقة أخرى في سلسلة التصعيد الكوني التي تبدأ من الأعلى ثم تنزل تدريجياً لتشمل كل شيء.

والمتأمل في هذا الانتقال يجد دقة متناهية: السماء انفطرت (انهيار الإطار العلوي)، والكواكب انتثرت (تفتت المحتوى العلوي)، والبحار فجرت (انقلاب العنصر الحيوي على الأرض). وكأن المشهد يأخذنا في رحلة نزولية من السماء إلى الأرض، ليغطي كل أرجاء الكون.

أولا ً: المعنى اللغوي والمفهومي للتفجير

فُجِّرَتْ من التفجير، وهو الشق والفتح بقوة وعنف. التفجير في اللغة يعني الشق الواسع، ويقال فجر النهر أي شقه وأجرى فيه الماء، وفجرت الأرض أي انشقت عن الماء. والمتفجرات هي المواد التي تشق وتفتت بقوة هائلة.

الدلالة اللغوية العميقة:

· التفجير يختلف عن الانفجار: الانفجار قد يكون مفاجئاً ومدمّراً، لكن التفجير يحمل معنى الشق و الفتح لغاية محددة. في الآية، تفجير البحار يعني شقها وتفريق مياهها وكشف ما في قيعانها.
· التفجير يتضمن فكرة الخلق الجديد: مثلما تفجر الأرض بالماء في الخلق الأول، فإن تفجير البحار في الآخرة هو إيذان بخلق جديد، بمرحلة جديدة من الوجود.
· صيغة الفعل (فُجِّرَتْ) بصيغة التكثير والتشديد، تدل على أن التفجير شامل وعظيم، ليس مجرد شق بسيط، بل تمزيق هائل لكل البحار في آن واحد.

المعنى الاصطلاحي في التفسير: للعلماء في معنى تفجير البحار أقوال متعددة، وكلها تدل على هول المشهد:

1.شقها حتى يختلط عذبها بمالحها، فتصبح بحراً واحداً لا فرق فيه.
2.تفجير مياهها حتى تنكشف قيعانها، وتصير يابسة كما كانت في البداية.
3.جعلها ناراً تتأجج، كما ورد في بعض الآثار أن البحار تصير ناراً يوم القيامة.
4.تفجيرها وإسالتها حتى تغمر الأرض، فتختلط الحدود الفاصلة بين البر والبحر.

والأقوال كلها تشير إلى حقيقة واحدة: البحار التي نعتمد عليها كمصدر للحياة والثروة ستتحول إلى نقيضها، وستكون جزءاً من هول يوم القيامة.

ثانياً: مكانة البحار في الوعي الإنساني

قبل أن نتعمق في دلالة تفجيرها، يجب أن نتأمل المكانة الفريدة للبحار في نفس الإنسان:

البحر كمصدر للحياة: البحر هو المهد الأول للحياة على الأرض، وما زال مصدراً رئيسياً للطعام و الثروة. الماء الذي فيه هو سر الحياة، وبدونه لا توجد حياة. فإذا تفجرت البحار، انتهى مصدر الحياة الأكبر.

البحر كرمز للثبات: الإنسان يرى البحر ثابتاً في مكانه منذ آلاف السنين، يأتي ويذهب المد والجزر لكن البحر يبقى. هذا الثبات الوهمي يجعله رمزاً للاستمرارية. لكن الآية تحطم هذا الوهم.

البحر كرمز للغموض: البحار تحمل في أعماقها أسراراً لا يعلمها إلا الله. هي عالم مجهول يثير الرهبة والدهشة. تفجيرها يعني كشف كل ما هو خفي ومستور، تماماً كما ستكشف القيامة كل خفايا القلوب.

البحر كرمز للقوة: أمواج البحر العاتية، وأعاصيره المدمرة، وعمقه المخيف، كلها تجعل منه رمزاً للقوة التي لا يستهان بها. لكن هذه القوة نفسها ستتفجر بأمر الله، مما يدل على أن القوة الحقيقية هي لله وحده.

البحر في الثقافات القديمة: كانت الشعوب القديمة تعبد البحر وتقدسه، وتعتبره إلهاً أو مسكناً للآلهة. تفجير البحر ينهي كل هذه الخرافات، ويكشف أن البحر مجرد مخلوق ضعيف بأمر خالقه.

ثالثاً: لماذا البحر تحديداً؟

ثمة حكمة بالغة في اختيار البحر بالذكر دون البر:

الحكمة الأولى: شمولية التغيير. إذا كان البحر - وهو أكبر مسطح مائي - سيتفجر، فهذا يعني أن كل شيء على الأرض سيتغير. البر سيتغير أيضاً، لكن البحر يمثل التغيير الأكبر والأهم.

الحكمة الثانية: انقلاب عنصر الحياة. الماء هو رمز الحياة، والبحار هي أكبر خزانات الماء. فإذا تحولت إلى نار أو اختلطت أو تفجرت، فهذا يعني انتهاء دورة الحياة على الأرض. إنها إشارة إلى أن الحياة

الدنيا قد انتهت وبدأت حياة الآخرة.

الحكمة الثالثة: كشف الخفايا. البحار تخفي في أعماقها كنوزاً وأسراراً ومخلوقات لا نراها. تفجيرها يعني كشف كل ما هو خفي، تماماً كما سيكشف الله في القيامة كل ما أخفته النفوس.

الحكمة الرابعة: إبطال التعلق. كثير من الناس يعلقون آمالهم على البحر: التجارة، الصيد، السياحة. تفجير البحر يعني أن كل هذه الآمال باطلة، وأن التعلق الحقيقي يجب أن يكون بالله.

الحكمة الخامسة: العلاقة بالطوفان. في قصة نوح، كان البحر هو أداة العذاب والطهارة. وفي القيامة، سيكون البحر أداة للانتقال من الدنيا إلى الآخرة. هناك تناظر بين البداية والنهاية.

رابعاً: الدلالات المتعددة للآية

الدلالة المادية: التحول الفيزيائي للبحار من مياه إلى نار، أو اختلاطها وتفجرها حتى تنكشف قيعانها. هذا المشهد يتحدى كل قوانين الطبيعة التي نعرفها، ويؤكد أن الله يفعل ما يشاء.

الدلالة النفسية: البحر يمثل في نفس الإنسان "العمق الباطني" و"اللاشعور" و"المشاعر المختزنة". تفجيره يعني كشف كل ما في الأعماق، وهذه هي الحالة النفسية للإنسان يوم القيامة، حيث تنكشف كل خفاياه.

الدلالة الفكرية: إبطال فكرة "استمرارية الطبيعة". البحر الذي نراه مستقراً منذ ملايين السنين، سيتغير في لحظة. هذا يحطم النظرة المادية للكون التي ترى الطبيعة أبدية، ويثبت أن الكون كله خاضع لإرادة الخالق.

الدلالة التربوية: تعليم العبد ألا يغتر بقوة البحر أو ثروته أو عظمته. فكل ما في الدنيا زائل، والقوة الحقيقية هي لله. كما تعلمه التواضع، فالبحر العظيم سيتفجر، فكيف بالإنسان الضعيف؟

الدلالة العملية: تذكير الإنسان بأن مصدر رزقه في الدنيا (البحر) قد يزول في أي لحظة. فلا ينبغي أن يتكل على الأسباب المادية، بل يجب أن يتكل على الله. العمل مطلوب، لكن التعلق بالنتائج مذموم.

الدلالة الروحية: تفجير البحار يعني انتهاء صلاحية العالم المادي، وبداية العالم الروحي. إنها دعوة للاستعداد للرحيل من دار الفناء إلى دار البقاء.

خامساً: العلاقة بين الآية وما قبلها

هذه العلاقة هي سر من أسرار البناء القرآني:

العلاقة التصاعدية في الهول:

- السماء انفطرت (صدمة أولية)
- الكواكب انتثرت (صدمة أعمق)
- البحار فجرت (صدمة أكثر خصوصية وأشد تأثيراً)

كل مشهد يزيد في هوله، وكل خطوة تقربنا أكثر من ذروة المشهد.

العلاقة التنازلية في المكان:

- السماء (أعلى عليين)
- الكواكب (في الفضاء)
- البحار (على الأرض)

الآيات تأخذنا في رحلة من الأعلى إلى الأسفل، لتشمل كل أرجاء الكون. لا مكان ينجو من هذا التحول الهائل.

العلاقة من الظاهر إلى الباطن:

· السماء ظاهرة للجميع
· الكواكب ظاهرة في الليل
· البحار لها ظاهر وباطن (قيعانها)

التفجير يكشف باطن البحر، تماماً كما ستكشف القيامة باطن النفس.

العلاقة في دلالة القدرة:

· انفطار السماء: قدرة على تغيير الإطار
· انتثار الكواكب: قدرة على تفتيت المحتوى
· تفجير البحار: قدرة على قلب العناصر

كل مشهد يدل على قدرة إلهية مطلقة لا حدود لها.

سادساً: التصوير البياني للآية

التصوير بالصدمة: البحر الذي نراه هادئاً أو هائجاً لكنه دائماً موجود، سيتفجر فجأة. المشهد مفاجئ ومدمّر، يخلق صدمة في النفس.

التصوير بالحركة العنيفة: التفجير يحمل معنى الحركة القوية والعنيفة. ليس تغيراً بطيئاً، بل انقلاباً سريعاً ومفاجئاً. وكأن البحر يثور من أعماقه.

التصوير بالتحول النوعي: البحر ماء، والتفجير يحوله إلى شيء آخر. هذا التحول النوعي (من حياة إلى موت، من ماء إلى نار) هو أبلغ في التصوير.

التصوير بالشمول: الفعل "فُجِّرَتْ" يشمل كل البحار، ليس بحراً واحداً. الصورة تشمل المحيطات كلها، مما يزيد المشهد هولا ً وعظمة.

التصوير بالتكامل مع المشاهد الأخرى: الآية تأتي مع الآيات السابقة لتشكل لوحة كونية واحدة. السماء والكواكب والبحار كلها في حالة انهيار، وهذا التكامل يخلق صورة مذهلة للكون في نهايته.

سابعاً: المفهوم الكبير من الآية

المفهوم الأول: زوال الثوابت.
البحر كان ثابتاً في نظر الإنسان، والآن يثبت القرآن أنه ليس ثابتاً. هذا المفهوم يعلمنا أن كل ما نراه ثابتاً في هذه الدنيا هو في الحقيقة زائل. الثابت الوحيد هو الله.

المفهوم الثاني: انقلاب الموازين.
البحر الذي هو مصدر الحياة، يتحول إلى مصدر للهول. الماء الذي هو رمز الحياة، يتحول إلى نار. هذا الانقلاب يعكس حقيقة يوم القيامة: كل شيء ينقلب، وتنكشف الحقائق.

المفهوم الثالث: كشف الخفايا.
كما يكشف تفجير البحر قيعانه وأسراره، فإن يوم القيامة يكشف خفايا النفوس. كل ما أخفاه الإنسان في قلبه سيظهر.

المفهوم الرابع: الانتقال من النعمة إلى النقمة.
البحر في الدنيا نعمة من الله (طعام، ثروة، نقل)، وفي الآخرة يكون نقمة على الكافرين. هذا يدل على أن النعم قد تتحول إلى نقم بحسب حال الإنسان.

المفهوم الخامس: إعادة الخلق.
تفجير البحر هو مرحلة من مراحل إعادة خلق الكون. فكما بدأ الخلق بالماء، سينتهي بتفجير الماء. هذه دورة الخلق والإعادة التي يصورها القرآن.

ثامناً: الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: لا تأمن مكر الله.
البحر الذي هو أعظم نعمة على الأرض، سيكون أداة للعذاب يوم القيامة. لا تأمن على نفسك، ولا تغتر بالنعم، بل اشكر الله واطلب العافية.

الدرس الثاني: التواضع أمام عظمة الله.
أمام بحر يتفجر بأمر الله، يتضاءل كل شيء. فلا تتكبر على أحد، ولا تتعاظم في نفسك. كل العظمة لله وحده.

الدرس الثالث: الاستعداد للرحيل.
البحر سيتفجر، والأرض ستتغير، والسماء ستنفطر. فلا تتعلق بالدنيا، واستعد للآخرة. جهز زادك قبل أن يحين وقت الرحيل.

الدرس الرابع: النظر إلى ما وراء الأسباب.
البحر مصدر رزق، لكنه ليس مصدر الرزق الحقيقي. الرزق الحقيقي من الله. لا تثق بالأسباب، بل ثق بمسبب الأسباب.

الدرس الخامس: التوبة قبل فوات الأوان.
كما أن البحر سيتفجر فجأة، فإن الموت يأتي فجأة. تب إلى الله الآن، ولا تؤجل التوبة إلى الغد، فالغد قد لا يأتي.

الدرس السادس: كشف حقيقة المعبودات الباطلة.
من كان يعبد البحر أو يقدسه، سيرى في ذلك اليوم أنه كان يعبد مخلوقاً ضعيفاً. التوحيد هو الحقيقة التي لا تتغير.

تاسعاً: كيف نستشعر الآية في حياتنا العملية؟

في علاقتنا بالله:
كلما رأيت البحر، تذكر أنه سيتفجر. اجعل منظر البحر تذكيراً لك بقدرة الله وهول يوم القيامة. ادع الله أن ينجيك من هول ذلك اليوم.

في علاقتنا بالدنيا:
البحر يمثل ثروة الدنيا، لكنه سيزول. فلا تعلق قلبك بالثروات، واستثمر ما عندك في ما ينفعك في الآخرة.

في علاقتنا بالنفس:
كما أن البحر له أعماق خفية، فالنفس لها خفايا. فاحذر من خفايا نفسك، وتزود بالتقوى لتنجو يوم تفجر البحار.

في علاقتنا بالمجتمع:
البحر كان وسيلة للتواصل بين الشعوب، وسيتفجر. فلا تظن أن الحدود الجغرافية ستبقى، فالكل سيجتمع في يوم القيامة.

في لحظات الشدة:
إذا ضاقت بك الدنيا، تذكر أن البحر الذي هو أوسع من أي شيء سيتفجر، فلا تضق بما هو أصغر.

في لحظات الفرح:
إذا فرحت بنعمة، تذكر أن النعمة قد تزول في لحظة. فافرح بالله لا بالنعم.

عاشراً: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

تغيير النظرة إلى الأسباب:
كنا نظن أن البحر مصدر أمان وثروة، والآن نعلم أنه سيكون أداة للهول. هذا يعلمنا ألا نثق في الأسباب بشكل مطلق، بل نثق بالله.

تغيير النظرة إلى الثروة:

ثروات البحر (الأسماك، اللؤلؤ، النفط) كلها زائلة. فلا تجعل جمعها هدفك الوحيد، بل اجعل العمل الصالح هدفك.

تغيير النظرة إلى الحياة:
كنا نعتقد أن الحياة مستمرة، والآن نعلم أنها ستنتهي بتفجير البحار. فاجعل حياتك استعداداً للآخرة.

تغيير النظرة إلى القوة:
قوة البحر عظيمة، لكنها ستزول. فلا تغتر بقوتك، واعلم أن القوة الحقيقية لله.

تغيير النظرة إلى الخوف:
الخوف من البحر طبيعي، لكن الخوف الأكبر يجب أن يكون من الله ومن يوم تفجر البحار. هذا الخوف يدفع إلى العمل الصالح.

تغيير النظرة إلى الأمل:
مع أن البحر سيتفجر، إلا أن الأمل موجود. فمن آمن وعمل صالحاً، سينجو من هول ذلك اليوم. الأمل في رحمة الله هو الأمل الحقيقي.

رسالة الختام: تفجير البحار كمنهج حياة

إن مشهد تفجير البحار ليس مجرد خبر عن المستقبل، بل هو درس عميق في فلسفة الحياة والوجود:

في العقيدة: يعلمنا أن الله هو المتحكم في كل شيء، حتى في أعظم عناصر الطبيعة. البحار التي نراها أبدية هي بأمره، وتتفجر بأمره.

في العبادة: يعلمنا ألا نغتر بالنعم، بل نشكر الله عليها، ونستعد ليوم تتحول فيه النعم إلى نقم.

في الأخلاق: يعلمنا التواضع، لأن البحر العظيم سيتفجر، فكيف بنا نحن الضعفاء؟

في العمل: يعلمنا ألا نكل إلى الأسباب، بل نأخذ بالأسباب ونتوكل على الله.

في التخطيط للمستقبل: يعلمنا ألا نخطط للدنيا فقط، بل نخطط للآخرة أيضاً، بل هي الأولى بـ التخطيط.

في التعامل مع الآخرين: يعلمنا أن الحدود التي تفصلنا (الحدود البحرية بين الدول) ستزول، فالكل يجتمع في يوم القيامة. فلا نتعالى على أحد.

يا طالب المعرفة، ويا ساعياً إلى الحقيقة:

كلما نظرت إلى البحر، تذكر أنه سيتفجر. كلما أخذت من خيراته، تذكر أنها زائلة. كلما شعرت بالأمان بجانبه، تذكر أن الأمان الحقيقي هو في الله وحده.

عش حياتك وأنت تعلم أن البحار التي تراها اليوم ستكون ناراً غداً، وأن الماء الذي تشربه اليوم سيكون حجة عليك غداً. استعد للقاء الله قبل أن يحين الوقت، واجعل العمل الصالح زادك، والتقوى دليلك، واليقين سلاحك.

نسأل الله أن ينجينا من هول يوم تفجر البحار، وأن يثبت قلوبنا يوم تزلزل الأقدام، وأن يجعلنا من الذين يتدبرون آياته ويعملون بها، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

رابعا

تفسير الآية الرابعة من سورة الانفطار

{وَإِذَا القُبُورُ بُعْثِرَتْ}

المقدمة: من أعماق الأرض إلى مواجهة الحقيقة

بعد أن انفطرت السماء في أفقها البعيد، وتناثرت الكواكب في فضائها اللامتناهي، وتفجرت البحار في عمقها المخيف، يأتي الآن المشهد الأكثر تأثيراً في النفس البشرية: القبور تبعثر.

لقد كانت الرحلة القرآنية تصاعدية في هولها، تنازلية في مكانها، من أعلى عليين إلى أعماق الأرض. و الآن، وبعد أن استكملت المشاهد الكونية صورتها، يأتي دور الإنسان نفسه. القبور التي تضم أجساد الموتى، والتي تمثل في وعينا نهاية المطاف، ستُقلب وتُبعثر، ليخرج منها الأموات أحياءً للحساب.

إنها اللحظة التي يلتقي فيها الكوني بالإنساني، والعمومي بالشخصي، والمادي بالروحي. فكل ما سبق كان تمهيداً لهذه اللحظة الفارقة: لحظة خروج الإنسان من قبره ليلقى ما قدمت يداه.

أولا ً: المعنى اللغوي والمفهومي للبعثرة

بُعْثِرَتْ من البعثرة، وهي النبش والقلب والإخراج، والتفريق والانتشار. يقال بعثر الشيء إذا فرقه وقلب بعضه على بعض، وبعثرت التراب أي أثرته وحركته. والبعثرة تحمل معنى الفوضى والاختلاط، حيث تختلط العظام بالتراب، وتظهر الأجساد بعد أن كانت مدفونة.

الفرق بين البعثرة والبعث:

· البعث: هو إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم أحياءً، وهو المعنى العام.
· البعثرة: هي النبش والقلب والتفريق، وهي وصف لعملية إخراج الموتى من قبورهم بشكل عنيف ومفاجئ.

فالبعثرة تصف الحدث من جهة تأثيره في الأرض والقبور، بينما البعث يصف الحدث من جهة تأثيره في الموتى أنفسهم. وكأن الآية تصور لنا المشهد من الخارج: القبور تنقلب، والتراب يتطاير، والعظام تختلط، ثم يأتي البعث بعد ذلك.

الدلالة اللغوية العميقة:

· صيغة الفعل (بُعْثِرَتْ) بصيغة التكثير والتشديد، تدل على أن البعثرة تشمل كل القبور، وليست قبوراً دون أخرى. كل من دفن في الأرض سيُبعثر.
· البعثرة تحمل معنى الكشف والفضح: فكما تبعثر القبور فتظهر ما فيها، فإن يوم القيامة سيكشف كل ما أخفته النفوس.
· البعثرة تحمل معنى التحول: من دفن واستقرار إلى خروج وحركة. ومن سكون الموت إلى حياة جديدة.

المعنى الاصطلاحي في التفسير: بعثرة القبور تعني:

.1قلبها وإخراج ما فيها من موتى.
.2نبشها وتفريق ترابها حتى تظهر الأجساد.
.3إحياء الموتى وإخراجهم منها أحياءً.
.4حشر الناس من قبورهم إلى موقف الحساب.

ثانياً: القبور في الوعي الإنساني

للقبور مكانة خاصة في نفس الإنسان، وهي تختلف عن أي مشهد آخر في الآيات:

القبر كرمز للنهاية: القبر هو المحطة الأخيرة في رحلة الدنيا. إنه النهاية التي يخشاها الجميع، والتي يحاول الإنسان نسيانها أو تأجيل التفكير فيها. بعثرتها تعني أن النهاية ليست نهاية، بل هي بداية جديدة.

القبر كرمز للنسيان: الإنسان يدفن موتاه وينساهم، وتتحول أجسادهم إلى تراب. بعثرة القبور تعني أن المنسيين سيتذكرون، وأن المدفونين سيظهرون.

القبر كرمز للوحشة: القبر مكان مظلم موحش، يوحي بالوحدة والانفراد. بعثرته تعني أن هذه الوحشة ستتحول إلى حشد وجمع، وسيكون الإنسان مع جميع الخلائق.

القبر كرمز للعدالة: في القبر يستوي الغني والفقير، والقوي والضعيف، والملك والرعية. بعثرته تعني أن هذه المساواة في الموت ستتحول إلى مساواة في الحساب.

القبر في الثقافات المختلفة: كل الثقافات تقدس القبور بشكل أو بآخر، وتعتبرها أماكن للراحة الأبدية. القرآن يحطم هذه الفكرة، ويؤكد أن القبور ليست نهاية، بل هي مجرد محطة عبور.

ثالثاً: لماذا القبور تحديداً في هذا المشهد؟

ثمة حكمة بالغة في ختم سلسلة المشاهد الكونية بالحديث عن القبور:

الحكمة الأولى: الانتقال من الكون إلى الإنسان. كل المشاهد السابقة كانت عن الكون الخارجي: السماء، الكواكب، البحار. والآن يأتي دور الإنسان نفسه. القبور هي المكان الذي يربط الإنسان بالكون، فهي جزء من الأرض، لكنها تحمل الإنسان في داخلها.

الحكمة الثانية: الإشارة إلى البعث. القبور هي الدليل الأكبر على البعث. فمن قدر على إخراج الأموات من قبورهم، فهو القادر على خلقهم أول مرة. البعثرة هي التمهيد للبعث.

الحكمة الثالثة: كشف السر الأكبر. القبور تخفي سراً عظيماً: مصير الإنسان بعد الموت. بعثرتها تكشف هذا السر، وتظهر حقيقة ما كان خفياً.

الحكمة الرابعة: إتمام شمولية التغيير. بدأ المشهد بالسماء (أعلى)، ثم الكواكب (أبعد)، ثم البحار (أوسع)، وانتهى بالقبور (أعمق). كل أرجاء الكون تشملها التغييرات، ولا شيء يبقى على حاله.

الحكمة الخامسة: الإشارة إلى المسؤولية الفردية. القبور تحمل كل إنسان على حدة. بعثرتها تعني أن كل إنسان سيواجه مصيره وحده، منفرداً بعمله.

رابعاً: الدلالات المتعددة للآية

الدلالة المادية: التحول الفيزيائي للأرض في يوم القيامة، حيث تنقلب القبور وتُخرج ما فيها من أجساد وعظام. هذا المشهد يتحدى كل قوانين الطبيعة، ويؤكد قدرة الله المطلقة على إعادة الخلق.

الدلالة النفسية: القبور تمثل في نفس الإنسان "الخوف الأعمق" و"الهاجس الأكبر". بعثرتها تعني مواجهة هذا الخوف وجهاً لوجه. إنها لحظة الصدمة النفسية الكبرى، حيث يرى الإنسان ما كان يخشاه طوال حياته.

الدلالة الفكرية: إبطال فكرة "نهاية الموت". القبور تبعثر، والأموات يخرجون، وهذا يعني أن الموت ليس نهاية، بل هو بداية لحياة جديدة. إنها أعظم حجة على الذين ينكرون البعث.

الدلالة التربوية: تعليم العبد ألا يغتر بالدنيا، وألا ينسى الموت والقبر. فكل ما في الدنيا زائل، وما بعد القبر هو الحقيقة الكبرى. الاستعداد للقبر والبعث هو أساس التزكية.

الدلالة العملية: تذكير الإنسان بأن القبور التي يمر عليها كل يوم ليست نهايات، بل هي محطات انتظار. من فيها سيخرجون، وسيلقون ما قدموا. هذا يدفع الإنسان إلى العمل الصالح قبل فوات الأوان.

الدلالة الروحية: بعثرة القبور تعني انتهاء مرحلة الغفلة، وبداية مرحلة اليقظة الكاملة. إنها لحظة الانتقال من عالم الأسباب إلى عالم المسببات، ومن عالم الاختبار إلى عالم الجزاء.

خامساً: العلاقة بين الآية وما قبلها

هذه العلاقة تمثل قمة التصعيد في السورة:

العلاقة التصاعدية في الهول:

المشهد العنصر درجة القرب من الإنسان
السماء انفطرت السماء بعيدة (فوق)

الكواكب انتثرت الكواكب أبعد (في الفضاء)
البحار فجرت البحار متوسطة (على الأرض)
القبور بعثرت القبور قريبة جداً (تحت الأقدام)

كل مشهد يقترب أكثر من الإنسان، حتى يصل إلى ما تحت قدميه. هذه التقنية القرآنية تزيد من التأثير النفسي، وتجعل المشهد أكثر إيلاماً وواقعية.

العلاقة التنازلية في المكان:

· السماء: أعلى
· الكواكب: في الفضاء
· البحار: على سطح الأرض
· القبور: في باطن الأرض

الرحلة تنتهي في باطن الأرض، حيث يكمن سر الإنسان الأكبر: موته وقبره وبعثه.

العلاقة من العام إلى الخاص:

· السماء: تشمل الجميع
· الكواكب: يشملها الجميع
· البحار: تشمل سكان الأرض
· القبور: تخص كل إنسان على حدة

الانتقال من العموم إلى الخصوص يزيد من التأثير الشخصي للآية.

العلاقة الزمنية:
كل هذه المشاهد تحدث في نفس اللحظة: السماء تنفطر، والكواكب تنتثر، والبحار تتفجر، والقبور تبعثر. إنها لحظة واحدة شاملة، ليس فيها تقديم ولا تأخير.

سادساً: التصوير البياني للآية

التصوير بالحركة العنيفة: البعثرة ليست حركة هادئة، بل هي قلب واجتثاث ونبش. التراب يتطاير، و العظام تختلط، والأجساد تخرج بقوة. المشهد مليء بالحركة والفوضى.

التصوير بالمفاجأة: القبور كانت هادئة ساكنة، وفجأة تبعثر. هذه المفاجأة تخلق صدمة في النفس، وتجعل المشهد أكثر تأثيراً.

التصوير بالكشف: البعثرة تكشف ما كان مخفياً. القبور تخفي الموتى، والبعثرة تظهرهم. هذا الكشف هو جوهر المشهد.

التصوير بالشمول: البعثرة تشمل كل القبور، في كل مكان، لكل الناس. لا قبر ينجو، ولا ميت يبقى. الشمولية تزيد الهول.

التصوير بالتكامل مع المشاهد السابقة: السماء تنفطر، والكواكب تنتثر، والبحار تتفجر، والقبور تبعثر. هذه أربع لوحات تشكل مشهداً واحداً متكاملا ً لا يمكن فصله.

سابعاً: المفهوم الكبير من الآية

المفهوم الأول: إبطال فكرة الموت كنهاية.
القبور تبعثر، والأموات يخرجون. هذا يعني أن الموت ليس نهاية، بل هو انتقال من مرحلة إلى مرحلة. الموت باب، والقبر محطة، والبعث هو الحقيقة.

المفهوم الثاني: العدالة الإلهية المطلقة.
القبور التي تستوي فيها الجميع في الدنيا، ستبعثر ليثبت أن العدالة الإلهية تنتظر الجميع في الآخرة. لا فرق بين غني وفقير، ولا بين قوي وضعيف، فالكل سيقف بين يدي الله.

المفهوم الثالث: كشف المستور.
كما تبعثر القبور فتظهر ما فيها، فإن يوم القيامة سيكشف كل ما أخفته النفوس. لا يبقى خفي، ولا يبقى مستور. كل شيء سيظهر.

المفهوم الرابع: الانتقال من الوحدة إلى الجمع.
القبر مكان الوحدة والانفراد، والبعثرة تؤدي إلى الجمع والحشر. الإنسان يخرج من وحدته في القبر إلى حشده مع الخلائق.

المفهوم الخامس: إعادة الخلق.
بعثرة القبور هي مرحلة من مراحل إعادة خلق الإنسان. فكما خلق الإنسان من تراب، فإنه يعود إلى التراب، ثم يخرج منه مرة أخرى.

المفهوم السادس: الاستعداد للقاء الله.
القبور تبعثر لتلتقي النفوس ببارئها. هذه هي الغاية النهائية من كل هذه المشاهد الكونية: لقاء الله.

ثامناً: الدروس المستفادة من الآية

الدرس الأول: لا تنس الموت.
القبور تذكرنا بالموت، والموت يذكرنا بالآخرة. من نسي الموت ضل طريقه، ومن تذكره اهتدى. اجعل القبر نصب عينيك، ولا تغفل عن مصيرك.

الدرس الثاني: الاستعداد للبعث.
القبور ستبعثر، وأنت ستخرج منها. فاستعد لهذا اليوم قبل أن يأتي. جهز زادك من العمل الصالح، وكن على يقين من لقاء الله.

الدرس الثالث: التواضع.
القبر يوحد بين الناس، فالجميع يستويون فيه. فلا تتكبر على أحد، ولا تتعاظم في نفسك. الموت ينتظر الجميع، والقبر يجمع الجميع.

الدرس الرابع: التوبة قبل فوات الأوان.
القبور ستبعثر في يوم لا مرد له. فتب إلى الله اليوم، ولا تؤجل التوبة إلى الغد، فالغد قد لا يأتي.

الدرس الخامس: العمل الصالح هو الباقي.
كل شيء يزول: المال، الجاه، الأولاد، حتى القبور تبعثر. لكن العمل الصالح يبقى، وهو ما ينفع الإنسان يوم القيامة.

الدرس السادس: اليقين بالله.
من أيقن بالبعث والحساب، عاش حياة مختلفة. لا يخاف الموت، ولا يخشى القبر، لأنه يعلم أن ما بعد القبر خير لمن عمل صالحاً.

تاسعاً: كيف نستشعر الآية في حياتنا العملية؟

زيارة القبور بتدبر:
عندما تزور المقابر، لا تمر مرور الكرام. تذكر أن هذه القبور ستبعثر، وأن من فيها سيخرجون للحساب. اجعل زيارتك للقبور تذكيراً لك بالآخرة.

تذكر الموت يومياً:
اجعل لنفسك ورداً من تذكر الموت. كل صباح، تذكر أنك قد لا تصل إلى المساء. وكل مساء، تذكر أنك قد لا تصل إلى الصباح. هذا التذكر يغير حياتك.

مراجعة الحساب:
كما ستُبعثر القبور لتظهر الأعمال، فأنت بعثر أعمالك اليوم، وراجعها قبل أن تراجع في يوم القيامة. اسأل نفسك: ماذا قدمت اليوم؟

التواضع في التعامل:

تذكر أن القبر يوحد بين الناس، فلا تتعالى على أحد. كلنا سنموت، وكلنا سنُبعثر من قبورنا.

الاستعداد للرحيل:
جهز وصيتك، واصلح علاقاتك، وتوب إلى ربك. لا تؤجل الاستعداد للموت، فإنه يأتي بغتة.

الدعاء:
ادع الله أن يثبتك عند خروجك من قبرك، وأن ينجيك من هول ذلك اليوم.

عاشراً: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

تغيير النظرة إلى الموت:
الموت لم يعد نهاية، بل أصبح باباً إلى حياة جديدة. من مات في الدنيا، يبعث في الآخرة. هذا التغيير يزيل الخوف من الموت، ويحوله إلى أمل.

تغيير النظرة إلى الدنيا:
إذا كانت القبور ستبعثر، فما قيمة ما في الدنيا؟ كل شيء زائل، والعمل الصالح هو الباقي. هذا يغير أولويات الإنسان.

تغيير النظرة إلى الناس:
القبور تجمع الناس، فكيف تفرقهم الخلافات؟ هذا يدفع إلى التسامح والإخاء، وإلى تجاوز الخلافات الصغيرة.

تغيير النظرة إلى الألم:
ألم الدنيا مهما كان، فهو مؤقت. ألم القبر والبعث هو الألم الحقيقي. هذا يغير نظرة الإنسان إلى المصائب.

تغيير النظرة إلى الغنى والفقر:
القبر يستوي فيه الغني والفقير، فلا يغرنك غناك، ولا يحزنك فقرك. المهم هو العمل الصالح.

تغيير النظرة إلى الوقت:
الوقت هو الحياة، والحياة قصيرة. فلا تضيع وقتك في ما لا ينفع، واستثمره في ما يبقى.

رسالة الختام: بعثرة القبور كمنهج حياة

إن مشهد بعثرة القبور ليس مجرد خبر عن المستقبل، بل هو منهج حياة متكامل يغير نظرتنا إلى كل شيء:

في العقيدة: يعلمنا أن الموت ليس نهاية، بل هو باب إلى حياة جديدة. القبور ستبعثر، والأموات سيخرجون، وهذا هو الإيمان بالبعث.

في العبادة: يعلمنا ألا نغفل عن ذكر الموت، وأن نستعد للقاء الله. الصلاة، الصوم، الزكاة، الحج، كلها استعداد لهذا اليوم.

في الأخلاق: يعلمنا التواضع وعدم الكبر، لأن القبر يستوي فيه الجميع. كما يعلمنا التسامح والإخاء، لأ ن الجميع سيجتمعون في يوم القيامة.

في العمل: يعلمنا أن العمل الصالح هو الباقي، وأن كل شيء سيزول. فلنستثمر أوقاتنا في ما ينفعنا في الآخرة.

في التخطيط: يعلمنا أن نخطط للآخرة كما نخطط للدنيا، بل هي أولى بالتخطيط. لا نؤجل التوبة، و لا نؤخر العمل الصالح.

في التعامل مع المصائب: يعلمنا أن مصائب الدنيا مهما كانت، فهي مؤقتة. العذاب الحقيقي هو عذاب القبر والآخرة.

يا طالب المعرفة، ويا ساعياً إلى الحقيقة:

القبور التي تراها كل يوم، والتي قد تمر عليها دون أن تلتفت، هي تذكير لك بحقيقة وجودك. من فيها كانوا مثلك، يأكلون ويشربون، ويضحكون ويبكون، ويخططون ويأملون. ثم جاءهم الموت، فصاروا تحت التراب. لكنهم سيعودون، حين تبعثر القبور.

لا تنتظر حتى تبعثر قبورك لتستعد. استعد اليوم. احفر لنفسك قبراً من العمل الصالح قبل أن تحفر لك القبور الحقيقية. اجعل حياتك كلها استعداداً لذلك اليوم العظيم.

عش وأنت تعلم أن القبور ستبعثر، وأنك ستخرج منها حياً ترزق، ستقف بين يدي الله، وستلقى ما قدمت من خير وما أخرت من شر. فاجعل لقاء الله هو شغلك الشاغل، واجعل رضوانه هو غايتك القصوى.

نسأل الله أن يثبتنا عند خروجنا من قبورنا، وأن ينجينا من هول ذلك اليوم، وأن يجعلنا من الذين يلقونه بوجوه بيضاء مسفرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

خامسا

تفسير الآية الخامسة من سورة الانفطار

}عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ{

المقدمة: ذروة المشهد وغاية الخلق

بعد أن رسمت الآيات الأربع السابقة مشاهد الكون وهي تنهار في تصعيد مذهل؛ السماء تنفطر، و الكواكب تنتثر، والبحار تتفجر، والقبور تبعثر، تأتي هذه الآية وكأنها "القلب النابض" للسورة، و"الغاية المثلى" لكل هذه المتغيرات الكونية الهائلة.

لقد كان كل ذلك الانهيار الكوني، وكل تلك الصدمات المتتالية، تمهيداً لهذه اللحظة الحاسمة: لحظة المواجهة بين الإنسان وعمله، لحظة العلم اليقيني بما قدمت الأيادي وما خلفته الخطى.

إنها الآية التي تحول المشهد من فيلم كوني مرعب إلى مواجهة شخصية حميمية .فما قيمة السماء المنفطرة، والكواكب المتناثرة، والبحار المتفجرة، والقبور المبعثرة، إذا لم تكن مقدمة لهذه المحطة المصيرية؟

والمتأمل في موقع هذه الآية يجدها في ذروة السورة، كأنها تتويج لكل ما سبق، وخلاصة لكل ما سيأتي .إنها ليست مجرد إخبار عن علم النفس بما عملت، بل هي دعوة مفتوحة لكل إنسان ليعلم الآ ن ما قدم وما أخر، قبل أن يحين وقت العلم الذي لا ينفع فيه الندم.

أولا ً: التحليل اللغوي والمفهومي العميق

"عَلِمَتْ" : فعل ماضٍ مبني للمعلوم، يدل على اليقين التام والمعرفة المطلقة التي لا يشوبها شك ولا نسيان .إنه علم المشاهدة والمعاينة، وليس علم الغيب أو الظن .إنها لحظة انكشاف الحقيقة، حيث يرى الإنسان عمله كأنه ينظر إليه بعينيه، وكأنما هي فيلم يعرض عليه بأدق تفاصيله.

"نَفْسٌ" : نكرة في سياق الإثبات، وهي تفيد العموم والشمول .كل نفس دون استثناء، صغيرها وكبيرها، غنيها وفقيرها، عالمها وجاهلها، مؤمنها وكافرها .لا توجد نفس واحدة في سجلات الوجود الإنساني إلا وهي داخلة تحت هذا العلم المحتوم، فالنكرة في هذا السياق تعم كل نفس.

"مَا" : موصولة تفيد العموم والاستغراق .كل شيء، صغيره وكبيره، دقيقه وجليله، سره وعلنه .لا يفلت من هذا الإحصاء شيء، حتى الخطرات التي تمر بالقلب، والنظرات التي تسرقها العين، والهمسات التي تهمس بها النفس، والخطوات التي تخطوها القدم.

"قَدَّمَتْ" : من التقديم، وهي تشير إلى ما عمله الإنسان في حياته وأرسله لنفسه من خير أو شر .وهي تعني الأعمال التي صنعها الإنسان بيديه، والآثار التي تركها في حياته، والعلاقات التي أقامها، والكلمات التي قالها، والخطوات التي مشاها، والأموال التي أنفقها، والأوقات التي استثمرها.

"وَأَخَّرَتْ" : من التأخير، وهي تعني ما تركه الإنسان خلفه من آثار تستمر بعد موته، أو ما أخره من

عمل صالح كان يمكن أن يفعله فلم يفعله، أو ما تركه من تقصير يتبعه في قبره، أو ما أخرته النفوس من توبة أو استغفار أو عمل كان في وسعها فتوانت عنه، أو ما أوصى به أو لم يوص.

المعنى الإجمالي العميق: كل نفس في ذلك اليوم ستعلم بكل يقين، وعلى سبيل المشاهدة والعيان، كل ما قدمته من أعمال في حياتها، وكل ما أخرته من عمل وتركة وتقصير، فتجده محضراً ومكتوباً وموجوداً أمامها، فلا ينفعها إنكار ولا يعذرها جهل.

ثانياً: تفسير "ما قدمت" و "ما أخرت" في عمقهما الوجودي والحضاري

هذه العبارة القصيرة تحمل في طياتها فلسفة كاملة عن الزمن والمسؤولية الإنسانية والأثر الحضاري:

"ما قدمت": البعد الزمني الماضي والرصيد التراكمي:
كل ما فعلته في حياتك الدنيا، كل عمل نفعله، كل كلمة نقولها، كل خطوة نخطوها، كل علاقة نبنيها . هذا هو الرصيد الذي أرسلته أمامك إلى الآخرة.

وأعمق من ذلك، "ما قدمت" هو:

· ما قدمته من خير لنفسك، كالصلاة والصوم والصدقة والحج.
· ما قدمته من خير للآخرين، كتعليم علم، أو إغاثة ملهوف، أو إصلاح ذات بين.
· ما قدمته من إصلاح في الأرض، كبناء مسجد، أو حفر بئر، أو زرع شجرة.
· ما قدمته من أثر علمي، ككتابة كتاب، أو نقل معرفة، أو تدريب جيل.
· ما قدمته من عدل، كفصل في قضية، أو رد مظلمة، أو إنصاف مظلوم.

"وأخرت": البعد الزمني المستقبلي والأثر الممتد:
ما تركته خلفك من آثار تستمر بعد رحيلك، أو ما أخّرته من أعمال صالحة كان يمكن أن تقدمها فتوانيت عنها.

وأعمق من ذلك، "وأخرت" هو:

· ما أخرته من عمل صالح كنت قادراً عليه فلم تفعله، فتندم على تفويته.
· ما أخرته من توبة كنت تنويها فلم تتب.
· ما أخرته من صلاة أو صوم أو زكاة ففات وقتها.
· ما تركت من أثر سيء بعد موتك، كبدعة أو فتنة أو ضلالة.
· ما تركت من تقصير في حق الناس، كالديون أو المظالم أو القطيعة.
· ما أخرته من وصية أو صدقة جارية كان يمكن أن تنفعك بعد موتك.

التأمل العميق في الحضارة الإسلامية:
يمكننا أن ننظر إلى "ما قدمت وأخرت" من منظور حضاري .كل أمة تقدم أعمالها الحضارية: العلوم، العمارة، الأدب، القيم، المؤسسات .هذه هي ما قدمته للأجيال القادمة .وما أخرته من تقصير في هذه المجالات هو ما ستسأل عنه.

فـ "ما قدمت" هو استثمارك في الحضارة الإنسانية، و"ما أخرت" هو تقصيرك في بناء هذه الحضارة . هذا المفهوم يضع المسؤولية الفردية والجماعية في سياقها الحضاري الأوسع.

ثالثاً: العلاقة بين الآية وما قبلها) من المشهد الكوني إلى المحاسبة الشخصية(

هذه العلاقة هي روح الإعجاز في السورة، وهي تستحق وقفة تأمل عميقة:

العلاقة الأولى: من الضخامة الكونية إلى الدقة الإنسانية:
السماء تنفطر، والكواكب تنتثر، والبحار تتفجر، والقبور تبعثر ...مشاهد ضخمة تعجز العقول عن تخيلها . لكن بعد كل هذا الضخامة، تأتي دقة لا متناهية: "عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ" .وكأن الله يقول: "كل هذا الكون العظيم، بكل ما فيه من عظمة وضخامة، هو مجرد مسرح لاختبار هذه النفس الصغيرة! ف النفس هي الجوهر، والكون هو الغلاف".

العلاقة الثانية: من الجماعة إلى الفرد:

مشاهد القيامة في الآيات السابقة تصف أحداثاً كونية تشمل الجميع .انفطار السماء يشمل كل من تحت السماء، وانتثار الكواكب يشمل كل من ينظر إليها، وتفجير البحار يشمل كل من يعيش على شواطئها، وبعثرة القبور تشمل كل من دُفن في الأرض .لكن الآية الخامسة تحول المشهد إلى مواجهة فردية: "عَلِمَتْ نفْسٌ" .كل إنسان وحده، لا يشفع له أحد، ولا ينفع معه مال ولا ولد، ولا يهمه حينها إلا نفسه.

العلاقة الثالثة: من السبب إلى النتيجة:
الآيات السابقة هي الأسباب المادية التي تهيئ لعرض الأعمال:

· السماء تنفطر لتكشف عن الحقائق وتزيل الحجب.
· الكواكب تنتثر لتدل على زوال الدنيا وانتهاء نظامها.
· البحار تتفجر لتذكر بنهاية الحياة وانقلاب الموازين.
· القبور تبعثر لتدل على البعث والحشر والخروج من القبور.
والآية الخامسة هي النتيجة: بعد كل هذه المتغيرات، يأتي العلم المحتوم بما قدمت وأخرت، وكأنها ثمرة كل هذه المقدمات الكونية.

العلاقة الرابعة: من الظاهر إلى الباطن:
الآيات السابقة تتحدث عن الظواهر الكونية المرئية: السماء، الكواكب، البحار، القبور .الآية الخامسة تتحدث عن الباطن: النفس، الأعمال، النوايا، الأسرار .إنه انتقال من المشهد المادي إلى المشهد الروحي، ومن الملموس إلى المعنوي، ومن الجسدي إلى الإنساني.

العلاقة الخامسة: من الزوال إلى البقاء:
كل ما سبق زائل: السماء تنفطر، والكواكب تنتثر، والبحار تتفجر، والقبور تبعثر .كل شيء يزول .لكن العمل والأثر يبقى: "عَلِمَتْ نفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ" .العمل الصالح والآثار الطيبة هي ما يبقى بعد زوال كل شيء.

العلاقة السادسة: من الخوف إلى الأمل:
المشاهد السابقة تبعث على الخوف والرهبة، لكن الآية الخامسة تبعث على الأمل والرجاء .فمن قدم خيراً يعلم أنه سيجده، ومن أخر خيراً يعلم أنه فاته .هذا العلم يبعث على الأمل للمؤمنين، والخوف للمذنبين.

رابعاً: الدلالة النفسية: المواجهة مع الذات

هذه الآية تمثل أكثر لحظات المواجهة النفسية حدة في حياة الإنسان، وهي تستحق وقفة تأمل نفسية عميقة:

مرحلة الصدمة الإدراكية:
في هذه اللحظة يرى الإنسان كل حياته مكشوفة أمامه .كل ذنب كان يخفيه، وكل خطيئة كان ينكرها ، وكل هفوة كان يتناساها، ستظهر فجأة وكأنها مكتوبة بحروف من نور على جدار الكون .إنها صدمة الوعي الكامل بالذات، حيث لا يمكن للإنسان أن ينكر أي شيء، لأن العلم هنا علم مشاهد، وليس علم إخبار أو استدلال.

مرحلة انكشاف الحقيقة:
كم من إنسان كان يظن أن عمله هين أو صغير، أو أنه لن يحاسب عليه، أو أنه سيُغفر له بلا حساب ؟ في هذه اللحظة، يرى الحقيقة كما هي، لا مجملة ولا مبهمة، بل مفصلة ودقيقة ومشاهدة بالعين.

مرحلة ندم التفويت:
سيرى الإنسان ما قدمه من أعمال صالحة فيشعر بالرضا، وسيرى ما أخرّه من تقصير فيشعر بالحسرة، وسيرى ما فرط فيه من أوقات ضائعة فيشعر بالندم .سيتمنى لو أنه قدم أكثر، وسيتمنى لو أنه أخرّ أقل، وسيتمنى لو أن الساعة تأخرت قليلا ً ليستدرك ما فاته.

مرحلة التمني الخاسر:
في هذه اللحظة، يتمنى الإنسان لو أنه كان تراباً، أو لو أنه لم يُخلق، أو لو أنه عمل خيراً أكثر .لكن التمني لا ينفع، فقد فات الأوان .هذه هي أشد لحظات الألم النفسي التي يمر بها الإنسان.

مرحلة الوعي الجديد:
في هذه اللحظة تدرك النفس حقيقة كانت غائبة عنها طوال حياتها: أن كل لحظة كانت تمر كانت فرصة، وكل عمل كانت تفعله كان استثماراً، وكل كلمة كانت تقولها كانت رصيداً، وكل خطوة كانت تخطوها كانت بصمة .لكن الإدراك جاء متأخراً، وجاء بعد أن فات الأوان.

التطبيق العملي لهذه الدلالة النفسية:
وهذا المشهد النفسي يقودنا إلى السؤال الأكثر إلحاحاً: لماذا ننتظر يوم القيامة لنعرف ما قدمنا وأخرنا ؟ أليس من العقل أن نعرف ذلك اليوم؟ أليس من الحكمة أن نكون على بينة من أمرنا قبل أن نوقف أمام الله؟

فالآية تدعونا إلى استباق هذا العلم، إلى مراجعة النفس في الدنيا قبل أن تجبر عليها في الآخرة .إنها دعوة للتوبة قبل فوات الأوان، وللعمل قبل انقطاع العمل، وللإصلاح قبل انتهاء الفرصة.

خامساً: الدلالة التربوية: مدرسة المحاسبة الذاتية

هذه الآية تمثل ركيزة أساسية في التربية الإسلامية، وهي "المراجعة الذاتية" أو "محاسبة النفس" .إنها منهجية متكاملة لتزكية الإنسان:

المبدأ الأول: لا تغتر بالظواهر:
النفس البشرية تميل إلى النظر إلى نفسها بعين الرضا والتسامح، وتميل إلى تبرير أخطائها وتجميل عيوبها .لكن هذه الآية تقول إن كل هذه التبريرات ستسقط في لحظة المواجهة، وسيظهر ما كنت تخفيه، وسينكشف ما كنت تزيّنه.

المبدأ الثاني: الدقة في المراجعة:
الآية تستخدم كلمة "ما" الموصولة التي تفيد العموم والاستغراق .وهذا يعلمنا أن المراجعة يجب أن تكون دقيقة وشاملة، لا تغفل عن صغيرة ولا كبيرة، ولا عن خافية ولا ظاهرة.

المبدأ الثالث: الموازنة بين الإنجاز والتقصير:
"ما قدمت" تمثل الإنجاز، و"ما أخرت" تمثل التقصير .المراجعة المتوازنة تنظر إلى كليهما، ولا تغتر بالإنجاز فتنسى التقصير، ولا تنشغل بالتقصير فتنسى الإنجاز.

التدريب العملي للمحاسبة الذاتية:
يمكننا أن ندرب أنفسنا يومياً على هذا المبدأ .قبل النوم، نجلس مع أنفسنا ونسألها:

- ماذا قدمت اليوم من خير؟
- ماذا أخرت من عمل صالح كان يمكن أن تفعله؟
- ما هو الشيء الذي أندم عليه اليوم؟
- ما هو الشيء الذي أشعر بالرضا عنه؟
- ما هو القرار الذي كان خطأ؟
- ما هو الموقف الذي كان يمكن أن أتعامل معه بشكل أفضل؟

هذه المراجعة اليومية هي تمرين عملي على ما سيحدث يوم القيامة .إنها تزكي النفس، وتصحح المسار، وترفع الوعي.

التطبيق في التربية الأسرية والمدرسية:
عندما نربي أبناءنا أو طلابنا، يجب أن نعلمهم هذه المهارة: أن يراجعوا أنفسهم، وأن يحاسبوا أعمالهم، وأن يكونوا على يقين بأن كل صغيرة وكبيرة ستُعرض عليهم يوماً .هذه التربية تجعلهم أكثر وعياً، وأكثر مسؤولية، وأكثر استعداداً للحياة.

التطبيق في الإدارة المؤسسية:
في المؤسسات والشركات، يمكن تطبيق هذا المبدأ من خلال نظم التقييم الذاتي والمراجعة الدورية للأداء .كل موظف يراجع ما قدمه من إنجازات وما أخره من تقصير، ويخطط للتحسين المستمر.

سادساً: "ما قدمت" و "ما أخرت" في واقعنا العملي

كيف نترجم هذين المفهومين إلى سلوك يومي في مختلف مجالات الحياة؟

في مجال العمل والمهنة:

· ما قدمت: كل مشروع أنجزته بإتقان، كل قضية فصلت فيها بالعدل، كل طالب علمته بإخلاص، كل مريض عالجته برحمة، كل تصميم أتقنته، كل فكرة قدمتها، كل جهد بذلته في سبيل إتقان عملك.
· ما أخرت: كل قضية أخرت حلها، كل طالب أهملت تعليمه، كل مريض ترفقت في علاجه، كل تأخير في التسليم، كل تقصير في الجودة، كل عمل كان يمكن أن تقدمه فتوانيت عنه، كل تطوير للذات تهاونت فيه.

في مجال العلاقات الإنسانية:

· ما قدمت: كل علاقة طيبة بنيتها، كل صلة رحم وصلتها، كل ابتسامة أهديتها، كل كلمة طيبة قلتها، كل إنسان ساعدته، كل مظلوم نصته، كل جائع أطعمته، كل عابر سبيل وجهته.
· ما أخرت: كل جفوة تركتها دون إصلاح، كل خصومة لم تحلها، كل شخص كنت قادراً على إسعاده فلم تفعل، كل مبادرة تأخرت فيها، كل زيارة تأخرت في أدائها، كل سلام أهملته، كل عتاب كان واجباً فتركته.

في مجال التطوير الذاتي:

· ما قدمت: كل ساعة قضيتها في طلب العلم، كل كتاب قرأته وفهمته، كل مهارة تعلمتها وأتقنتها، كل قدرة طورتها، كل عادة حميدة اكتسبتها، كل ضعف تغلبت عليه، كل لحظة استثمرتها في تطوير نفسك.
· ما أخرت: كل علم تسوّفت تعلمه، كل كتاب أجلت قراءته، كل مهارة أهملت تطويرها، كل فرصة للتحسن ضيعتها، كل موهبة دفنتها، كل قدرة أهملتها، كل وقت أضعته في ما لا ينفع.

في مجال الروحانيات والعبادات:

· ما قدمت: كل صلاة أديتها بخشوع، كل ركعة قمت بها في الليل، كل دعاء دعوت به من قلبك، كل استغفار استغفرته بصدق، كل صدقة تصدقت بها، كل توبة تبته إليها، كل ذكر ذكرت به ربك، كل حسنات أرسلتها أمامك.
· ما أخرت: كل صلاة تسوّفتها، كل توبة أخرتها، كل استغفار تأخرت فيه، كل عمل صالح كان في وسعك فتوانيت عنه، كل صدقة كانت في يدك فبخلت بها، كل طاعة أهملتها، كل سنة تركتها، كل قيام تأخرت عنه.

في مجال البناء الحضاري:

· ما قدمت: كل علم نشرته، كل كتاب ألفته، كل فكرة أصلحتها، كل مشروع بنيته، كل مؤسسة أسستها، كل جيل ربّيته، كل أثر طيب تركته في الأرض.
· ما أخرت: كل تقصير في بناء الأمة، كل فكرة أهملتها، كل مشروع تهاونت فيه، كل جيل أهملت تعليمه، كل فساد سكت عنه، كل ظلم تركت تمريره، كل صلاح كان يمكن أن تنشره فلم تنشره.

سابعاً: سر إفراد "النفس" بالذكر

من اللافت في الآية أنها لم تقل "علم الناس" أو "علم الخلائق"، بل قالت "عَلِمَتْ نَفْسٌ" .ما السر في ذلك؟

السر الأول: الفردية المطلقة في المحاسبة:
كل إنسان مسؤول عن نفسه، ولا ينوب أحد عن أحد .يوم القيامة، كل واحد مشغول بنفسه، لا يسأل عن أخيه ولا عن صديقه ولا عن قريبه .إنها أعلى درجات الفردية التي تصورها آية قرآنية، حيث يقف الإنسان وحيداً أمام ربه، لا معين ولا شفيع.

السر الثاني: معرفة النفس بذاتها:

الآية تشير إلى أن النفس البشرية تعرف حق المعرفة ما قدمت وأخرت، لأنها كانت شاهدة على كل أعمالها .إنها تعلم خفاياها، وتعرف نواياها، وتتذكر أسرارها .لا يحتاج الأمر إلى إثبات أو استدلال، لأن النفس نفسها هي الحجة على نفسها.

السر الثالث: تذكير النفس بقدرها الحقيقي:
النفس البشرية قد تغتر بقوتها أو جمالها أو علمها أو مالها، فتظن أنها فوق المحاسبة .هذه الآية تضعها في مكانها الحقيقي: نفس ضعيفة أمام رب عظيم، لا نجاة لها إلا بعملها الصالح.

السر الرابع: إلغاء التبعية والمحسوبية:
في الدنيا، قد ينفع الإنسان وساطة أو علاقة أو جاه .في الآخرة، لا ينفع إلا النفس وعملها .إفراد النفس بالذكر يؤكد أن كل إنسان سيقف وحده، لا تنفعه قرابته، ولا تنفعه مكانته.

السر الخامس: الدعوة للوعي الذاتي:
الآية تدعو الإنسان إلى الوعي بذاته، وإلى معرفة قدر نفسه، وإلى أن يكون هو المسؤول عن مصيره . لا ينتظر من أحد أن ينجيه، ولا يتكل على أحد أن يشفع له.

ثامناً: كيف تغير هذه الآية نظرتنا للحياة؟

هذه الآية تحدث تغييراً جذرياً في نظرة الإنسان للحياة تقوم على عدة محاور رئيسية:

المحور الأول: من العبثية إلى المسؤولية:
كثير من الناس يعيشون حياتهم دون هدف واضح، وكأنها مجرد رحلة عابرة لا معنى لها .هذه الآية تغير ذلك تماماً: كل عمل له وزن، وكل كلمة لها حساب، وكل خطوة لها أثر .الحياة ليست عبثاً، بل هي مسؤولية مستمرة، وأنت المسؤول الوحيد عن حياتك.

المحور الثاني: من الاستهلاك إلى الإنتاج:
الإنسان الذي يؤمن بهذه الآية لا يعيش ليستهلك فقط، بل يعيش لينتج .كل لحظة هي فرصة لصناعة أثر .كل يوم هو صفحة جديدة في سجل أعماله .كل عمل هو استثمار في مستقبله .الحياة ليست سلسلة من لحظات التسلي والاستهلاك، بل هي فرصة للإنتاج والتأثير.

المحور الثالث: من الغفلة إلى الوعي:
الإنسان الغافل يمضي في حياته كأنه في نوم عميق، لا يرى ولا يبصر، ولا يدرك ولا يفكر .الإنسان الواعي الذي يستشعر هذه الآية يعيش بوعي كامل، لأنه يعلم أن كل شيء مرصود، وأن كل حركة مسجلة، وأن كل لحظة محسوبة.

المحور الرابع: من الفردية الأنانية إلى الأثر المجتمعي:
عندما يعلم الإنسان أن ما يقدمه ويؤخره لا يخصه فقط، بل يؤثر في الآخرين وفي المجتمع وفي الأ جيال القادمة، فإنه يصبح أكثر مسؤولية في تعامله مع محيطه .أعماله ليست مجرد اختيارات شخصية، بل هي مساهمات في بناء المجتمع أو هدمه.

المحور الخامس: من التعلق بالدنيا إلى الاستعداد للآخرة:
حين يعلم الإنسان أن كل شيء سيزول، وأن ما يبقى هو عمله فقط، يتغير تعلقه بالدنيا .لا يعلق قلبه بالأشياء الزائلة، بل يستثمر وقته وجهده في ما يبقى وينفع.

المحور السادس: من الخوف من الموت إلى الرجاء في اللقاء:
المؤمن الذي قدم خيراً في الدنيا لا يخاف الموت، بل يرجو لقاء الله .هو يعلم أن ما قدمه من خير سيلقاه في الآخرة، وأن الله لن يضيع أجر من أحسن عملا ً.

تاسعاً: استشعار الآية وتطبيقاتها العملية في الحياة اليومية

في الصباح) عند الاستيقاظ(:
عندما تستيقظ من نومك، تذكر أن هذا اليوم هو فرصة جديدة لتقديم خير وتأخير شر .خطط ليومك على أساس أنك ستسأل عنه .اجعل لك هدفاً يومياً من الأعمال الصالحة، واجعل لك ورداً من الذكر و

العبادة.

في العمل) أثناء الإنجاز(:
عندما تقوم بمهمة، اسأل نفسك: هل هذا العمل سيقدم خيراً أم شراً؟ هل سيكون في حسابي يوم القيامة؟ تعامل مع كل مهمة كأنها عبادة، وأتقنها كما لو أنها آخر عمل تقوم به.

في العلاقات) أثناء التعامل(:
عندما تتعامل مع إنسان، تذكر أنه سيوم ستعلم نفسك ما قدمت وأخرت في حقه .فكن محسناً، وكن عادلا ً، وكن صادقاً، وكن رحيماً، وكن متسامحاً .كل كلمة تقولها وكل موقف تتعامل به سيُسجل في صحيفتك.

قبل النوم) المراجعة اليومية(:
اجلس مع نفسك وراجع يومك .اسأل نفسك بصدق:

· ماذا قدمت اليوم من خير؟
· ماذا أخرت من عمل صالح كنت قادراً عليه؟
· ما هو الشيء الذي تشعر بالرضا عنه؟
· ما هو الشيء الذي تتمنى أن تعيده؟
· هل ظلمت أحداً اليوم؟
· هل قصّرت في حق أحد؟
· هل استغليت وقتي كما ينبغي؟
· ماذا سأفعل غداً بشكل أفضل؟

ثم استغفر الله على التقصير، واحمد الله على التوفيق، وادع الله أن يعينك على الخير غداً.

في المناسبات والأحداث) التأمل والتدبر(:

· عندما تأتي مناسبة سعيدة، تذكر أن الفرحة ليست غاية بذاتها، بل هي فرصة لتقديم خير وشكر الله.
· وعندما تأتي مناسبة حزينة، تذكر أنها فرصة للصبر وتقديم الأجر والاستغفار.
· وعندما تمر بأزمة، تذكر أنها فرصة لتطوير نفسك وتقديم حلول جديدة.
· وعندما تنجح في أمر، تذكر أن النجاح نعمة من الله يجب أن تشكره عليها.

في القرارات الكبيرة) التخطيط الاستراتيجي(:
قبل أن تتخذ قراراً مصيرياً، اسأل نفسك:

· ما هو أثر هذا القرار فيما قدمت وأخرت؟
· هل سيكون في صالحي أم ضدي يوم القيامة؟
· هل سيساعدني على تقديم خير أكبر أم سيعيقني؟
· هل هو من العدل والإنصاف أم من الظلم والجور؟
· ماذا سيكون أثره على الآخرين والأجيال القادمة؟

عاشراً: الدلالة الفلسفية العميقة للآية

هذه الآية تطرح قضايا فلسفية عميقة حول طبيعة الزمن والإنسانية والمسؤولية، وهي تستحق وقفة تأمل:

قضية الاستمرارية الإنسانية:
الإنسان ليس كياناً متوقفاً عند لحظة معينة، بل هو سلسلة مستمرة من الأعمال والآثار .ما يفعله اليوم يمتد إلى الغد، وما يفعله في الحاضر يؤثر في المستقبل .أنت لست ما أنت عليه الآن فقط، بل أنت ما قدمت وما أخرت .أنت حصيلة ماضيك ومؤشر على مستقبلك.

قضية الحرية والاختيار:
كل عمل يقوم به الإنسان هو اختيار منه .قدم هذا وترك هذا، فعل هذا وأخر ذاك .هذا الاختيار هو

جوهر حريته، وهو أساس مسؤوليته .من لا يختار لا يحاسب، ومن يختار يتحمل عواقب اختياراته.

قضية العدالة الإلهية المطلقة:
لو كانت الحياة تنتهي بالموت، لكانت ظلماء .لكن هذه الآية تؤسس للعدالة المطلقة: كل عمل سيجزى، وكل تقصير سيعاقب، وكل إحسان سيكافأ .هذه العدالة هي ما يمنح الحياة معنى ويجعلها عادلة.

قضية المعنى الوجودي:
الحياة بدون حساب لا معنى لها .لكن الحياة مع الحساب تكتسب عمقاً وهدفاً وغاية .أنت لا تعيش لتموت، بل تعيش لتبقى من خلال عملك .أنت لا تعيش لتأكل وتشرب، بل تعيش لتصنع أثراً يبقى بعدك.

قضية العلاقة بين الزمن والخلود:
الزمن الذي نعيش فيه محدود، لكن آثاره تمتد إلى الخلود .كل لحظة نعيشها هي استثمار في الخلود . ما نفعله اليوم يكتب صحيفتنا للأبد .هذه الحقيقة تغير نظرتنا إلى كل لحظة وكل عمل.

قضية المسؤولية الفردية أمام الكوني:
الإنسان مسؤول أمام نفسه أولا ً، لكن مسؤوليته تمتد لتشمل الكون والمجتمع والأجيال .فـ "ما قدمت" ليس مجرد أعمال فردية، بل هو أثرك في الكون كله.

الحادية عشرة: الدروس العشر الكبرى المستفادة من الآية

الدرس الأول: العلم اليقيني بأن كل شيء مسجل:
لا تغتر، ولا تظن أن عملك يضيع .كل شيء مسجل بدقة، وستعلمه يوم القيامة.

الدرس الثاني: أهمية العمل الصالح:
العمل الصالح هو استثمارك الحقيقي .كل ما عداه زائل .فاستثمر وقتك وجهودك في ما ينفعك في الآ خرة.

الدرس الثالث: خطورة التسويف والتأخير:
تأخير العمل الصالح خطر كبير .قد يأتي الموت قبل أن تقدم ما أخرت .فلا تؤجل توبة، ولا تؤخر صدقة، ولا تسوف في فعل الخير.

الدرس الرابع: ضرورة المراجعة الذاتية المستمرة:
لا تنتظر يوم القيامة لتراجع نفسك .راجع نفسك اليوم، وغداً، وكل يوم .اجعل المراجعة الذاتية منهج حياة.

الدرس الخامس: التواضع وعدم الاغترار:
لا تغتر بعملك، ولا تظن أنك قدمت ما يكفي .اجتهد في الزيادة، وتواضع في العمل، واطلب المغفرة على التقصير.

الدرس السادس: أهمية الأثر الطيب:
اهتم بترك أثر طيب في الأرض .علم نافع، أو صدقة جارية، أو ولد صالح، أو عمل يبقى بعدك .هذا ما يؤخرته لنفسك.

الدرس السابع: التوازن بين الدنيا والآخرة:
لا تترك دنياك لآخرتك، ولا تترك آخرتك لدنياك .اعتدل، وخذ من الدنيا ما يعينك على الآخرة، واعمل ل لآخرة وأنت في دنياك.

الدرس الثامن: المسؤولية تجاه الآخرين:
عملك لا يخصك فقط .أنت مسؤول عن تأثيرك في الآخرين .فكن قدوة حسنة، وكن سبباً في خير الناس.

الدرس التاسع: الدعاء والاستغفار:

ادع الله أن يعينك على تقديم الخير، وأن يغفر لك ما أخرت من خير، وأن يثبتك عند السؤال.

الدرس العاشر: الاستعداد الدائم:
عش كل لحظة كأنها آخر لحظة في حياتك .استعد للموت والبعث والحساب .اجعل حياتك كلها استعداداً للقاء الله.

رسالة الختام: الآية كمرآة للحياة

تأمل معي هذه المقارنة بين ما كان قبل الآية وما بعدها، وكيف تغير نظرتنا إلى كل شيء:

قبل الآية:

· كنا ننظر إلى السماء فنراها سقفاً ثابتاً، لا يخطر ببالنا أنها ستنفطر.
· كنا ننظر إلى الكواكب فنراها جمالاً في الليل، لا نعلم أنها ستنتثر.
· كنا ننظر إلى البحار فنراها ماءً وثروةً، لا نتصور أنها ستتفجر.
· كنا نمر على القبور فنراها نهايات، لا نستشعر أنها ستبعثر.
· كنا ننظر إلى أنفسنا ككائنات عابرة، نعيش ونموت وينتهي كل شيء.

بعد الآية:

· ننظر إلى السماء فنراها آية من آيات الله التي ستنفطر، فتزداد خشيتنا لله.
· ننظر إلى الكواكب فنراها شهباً ستنتثر، فتزداد يقيننا بقدرة الله.
· ننظر إلى البحار فنراها ناراً ستتفجر، فتزداد رغبتنا في التوبة.
· نمر على القبور فنراها بدايات ستبعثر، فتزداد استعدادنا للقاء الله.
· ننظر إلى أنفسنا كمسؤولين محاسبين، نعيش لنعمل، ونعمل لنبقى.

إن هذه الآية تحول الحياة كلها إلى آية محاسبة .كل لحظة تصبح فرصة، وكل عمل يصبح استثماراً، وكل علاقة تصبح مسؤولية .إنها تزرع في النفس وعياً يقظاً، وتجعل الإنسان يعيش بجدية وإخلاص وصدق، لأنه يعلم أن كل صغيرة وكبيرة ستُعرض عليه يوماً في مشهد لا يمكنه إنكاره.

يا طالب المعرفة، ويا ساعياً إلى الكمال، ويا باحثاً عن الحقيقة:

لا تنتظر يوم القيامة لتعلم ما قدمت وما أخرت .كن واعياً اليوم، وراجع نفسك غداً، واسأل قلبك كل لحظة: ماذا قدمت اليوم من خير؟ وماذا أخرت من عمل كان يمكن أن تفعله؟

اجعل هذه الآية شعار حياتك، ومصباح طريقك، وقائد سلوكك .عش كأن الموت يأتي بكرة، وكأن البعث بعد لحظة، وكأن الحساب أمام عينيك .وعندها، ستكون حياتك متزنة، وأعمالك متقنة، وقلبك مطمئناً، وروحك ساعية إلى بارئها في كل وقت وحين.

اعلم أن كل نفس ستعلم ما قدمت وأخرت، فاجعل علمك أنت الآن هو ما يدفعك لتقديم الخير وتأخير الشر، والمسارعة إلى التوبة والإصلاح قبل فوات الأوان.

.
القسم الثاني
اولا
تفسير الآية السادسة من سورة الانفطار

{يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكريم}

المقدمة: صدمة الخطاب الإلهي بعد المشهد الكوني

بعد أن رسمت الآيات السابقة مشاهد الكون وهي تنهار في تصعيد مذهل؛ السماء تنفطر، والكواكب تنتثر، والبحار تتفجر، والقبور تبعثر، وبعد أن أعلنت الآية الخامسة أن كل نفس ستعلم ما قدمت وما أخرت، يأتي هذا النداء الإلهي المفاجئ: "يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكريم".

إنه تحول مذهل في السياق: من مشهد كوني مرعب إلى خطاب مباشر، من وصف الأهوال إلى

مواجهة الإنسان، من الحديث عن الجميع إلى مخاطبة الفرد. وكأن الله سبحانه وتعالى بعد أن أقام الحجة على الإنسان بمشاهد القيامة، يوجه إليه سؤالا ً مباشراً يكشف عن أخطر مرض في وجوده: الغرور.

هذا النداء ليس مجرد خطاب عابر، بل هو لحظة تأسيسية في الوعي الإنساني. إنه السؤال الذي يهز كيان الإنسان من أعماقه، ويدفعه لمراجعة علاقته بربه، ويكشف له حقيقة وضعه. إنه السؤال الذي لو أجاب عنه الإنسان بصدق، لتغيرت حياته كلها.

أولا ً: التحليل اللغوي والمفهومي العميق

"يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ" : نداء للجنس البشري كله، لكن بصيغة المفرد، مما يعطي الطابع الشخصي والحميمي. إنه خطاب لكل إنسان على حدة، وكأن الله يناديك أنت وحدك. هذا الأسلوب يجعل الآية شخصية جداً، فلا يستطيع أحد أن يقول "الخطاب ليس لي"، بل كل إنسان يشعر أنه المقصود بهذا النداء.

"مَا غَرَّكَ" : الاستفهام هنا للتوبيخ والتعجب، وليس للاستعلام. والمعنى: أي شيء خدعك وأغواك وصول بك إلى هذه الجرأة على المعصية؟ ما الذي جعلك تجترئ على مخالفة أمر ربك مع علمك بعظمته وقدرته؟

"غَرَّكَ" من الغرور، وهو الخداع والتمويه، والانخداع بالباطل. والغرور هو أن يرى الإنسان نفسه في غير موضعها الحقيقي، وأن يظن نفسه فوق ما هي عليه. والغارّ هو الشيطان، والغرور هو النفس الأ مارة بالسوء، والدنيا بزخرفها.

"بِرَبِّكَ" : الإضافة إلى الكاف "ربك" تشير إلى العلاقة الخاصة بين الإنسان وربه. الرب هو المربي و المصلح والمدبر والمُتَعَهِّد بالرعاية. إنه ليس مجرد خالق، بل هو القائم على شؤونك، والمتولي أمرك، و المنعم عليك بكل ما تملك.

"الكَرِيمِ" : هذا الوصف هو قلب السؤال وأعظم مفاجأة فيه. فالسؤال ليس "ما غرك بربك المنتقم" أو "بربك الجبار" أو "بربك القهار"، بل "بربك الكريم". إنه تذكير بصفة الكرم الإلهي التي هي سبب غرور ا لإنسان! فالإنسان اغتر بكرم الله، فظن أن الكرم يمنعه من العقاب، وأن الجود يقتضي التسامح مهما كانت الذنوب.

المعنى الإجمالي: يا أيها الإنسان، أي شيء خدعك وجرأك على معصية ربك الكريم الذي يفيض عليك نعمه ظاهرة وباطنة، ويستر عيوبك، ويمهلك ولا يعاجلك بالعقوبة؟ كيف اجترأت على مخالفته وهو الذي أنعم عليك بكل هذه النعم؟

ثانياً: دلالة هذا الخطاب بعد المقدمات الكونية

لماذا جاء هذا النداء الإلهي بعد كل هذه المشاهد الكونية المرعبة؟ إنه سؤال بالغ الأهمية يكشف عن هندسة الخطاب القرآني:

الدلالة الأولى: إقامة الحجة الكاملة:
لقد عرض الله على الإنسان مشاهد القيامة الأربعة: السماء تنفطر، والكواكب تنتثر، والبحار تتفجر، و القبور تبعثر. ثم أخبره أن كل نفس ستعلم ما قدمت وأخرت. وبعد أن أقام عليه الحجة من الخارج (المشاهد الكونية) ومن الداخل (علم النفس)، جاء السؤال: "ما غرك بربك الكريم؟" وكأنه يقول: "بعد كل هذه المقدمات، كيف تجرأت على المعصية؟"

الدلالة الثانية: من المشهد الجماعي إلى المواجهة الفردية:
المشاهد الكونية كانت تصف أحداثاً تشمل الجميع، لكن الآية السادسة تحول الخطاب إلى مواجهة شخصية مع كل إنسان. إنها تنتقل من النظر إلى السماء إلى النظر إلى النفس، ومن الحديث عن الكون إلى الحديث عن العلاقة مع الرب.

الدلالة الثالثة: كشف زيف الغفلة:
المشاهد الكونية كانت تهدف إلى إيقاظ الإنسان من غفلته، لكن الإنسان قد يظل غافلا ً حتى بعد

رؤيتها. فجاء السؤال المباشر "ما غرك بربك الكريم؟" ليكسر جدار الغفلة تماماً، وليجبر الإنسان على مواجهة حقيقة وضعه.

الدلالة الرابعة: إبطال التبريرات:
بعد كل هذه المقدمات، لا يبقى للإنسان أي عذر أو تبرير. فالمشاهد الكونية تثبت قدرة الله، وآية "علمت نفس" تثبت عدالة الله، وسؤال "ما غرك" يفضح تبريرات الإنسان. ولا يبقى للإنسان إلا الا عتراف بالتقصير.

الدلالة الخامسة: التمهيد للتوبة:
السؤال "ما غرك بربك الكريم" ليس مجرد توبيخ، بل هو فتح لباب التوبة. فذكر "الكريم" يبعث على ا لأمل، وكأن الله يقول: "أنا الكريم الذي يغفر الذنوب، فلماذا تغتر بي وتظن أنني سأعاقبك؟ بل تب إليّ وأنا أقبل توبتك."

ثالثاً: لماذا الخطاب لعموم الجنس الإنساني؟

هذا النداء موجه إلى "الإنسان" بصفته جنساً، وليس إلى "المؤمن" أو "الكافر". هذه الإنسانية العامة تحمل دلالات عميقة:

الدلالة الأولى: استهداف الصفة المشتركة:
الخطاب موجه إلى الصفة المشتركة بين كل البشر: الإنسانية. فهذا الغرور ليس خاصاً بفئة دون أخرى، بل هو مرض بشري عام. كل إنسان معرض للغرور، وكل إنسان يحتاج إلى هذا التذكير.

الدلالة الثانية: تذكير الإنسان بإنسانيته:
النداء يذكر الإنسان بجوهره: أنه إنسان، وليس ملكاً ولا إلهاً. الإنسانية تعني الضعف والخطأ والحاجة، لكنها تعني أيضاً المسؤولية والتكليف والكرامة. فالخطاب يرد الإنسان إلى حجمه الحقيقي، وسطاً بين التفريط والإفراط.

الدلالة الثالثة: إلغاء الفوارق المصطنعة:
الخطاب يشمل كل الناس بغض النظر عن أصولهم أو ألوانهم أو طبقاتهم. فهو يذكر بأن كل البشر سواسية أمام الله، وأن الفوارق التي يخلقها الناس بينهم هي مجرد أوهام زائلة.

الدلالة الرابعة: مناقضة الغرور المسبب للتفرقة:
الغرور هو الذي يخلق الفوارق بين الناس، ويجعل الإنسان يظن نفسه أفضل من غيره. الخطاب للإ نسانية جمعاء يضرب جذور هذا الغرور، ويرد الإنسان إلى وحدته الإنسانية الأساسية.

الدلالة الخامسة: التذكير بالخلافة والتكليف:
الإنسان هو الكائن المكلف بالخلافة في الأرض، وهو الذي زوده الله بالعقل والحرية ليختار. الخطاب ل لإنسانية يذكر الإنسان بهذا التكليف، ويسأله: ماذا فعلت في مهمتك؟ كيف استخدمت هذه الأدوات التي أعطيت لك؟

رابعاً: متى يفقد الإنسان إنسانيته؟

هذا السؤال هو جوهر الآية، والإجابة عليه تكشف عن أعمق أبعاد الغرور:

حين يغتر بنفسه:
الإنسان يفقد إنسانيته حين يغتر بنفسه، ويظن أنه أغنى من أن يحتاج إلى الله، أو أقوى من أن يخشاه، أو أعلم من أن يتبعه. الغرور يحجب رؤية الإنسان لحقيقة نفسه، فيرى نفسه أكبر مما هي عليه.

حين ينسى أصله:
الإنسان يفقد إنسانيته حين ينسى أنه خلق من تراب، وأنه ضعيف، وأنه يحتاج إلى الله في كل

لحظة. النسيان هو عدو الإنسانية، والتذكر هو سر البقاء.

حين يغفل عن غايته:
الإنسان يفقد إنسانيته حين يغفل عن غاية وجوده: عبادة الله والقيام بواجب الخلافة. الغفلة تحوله من كائن ذي رسالة إلى كائن استهلاكي يعيش ليموت.

حين يظلم ويطغى:
الإنسان يفقد إنسانيته حين يظلم الآخرين ويتجبر عليهم. الظلم هو نقيض العدل الذي هو أساس الإ نسانية. الظالم يفقد حقه في أن يسمى إنساناً بالمعنى الحقيقي.

حين يتبع هواه بلا ضابط:
الإنسان يفقد إنسانيته حين يصبح عبداً لشهواته، تتحكم فيه غرائزه دون عقل ولا دين. العبودية لله هي عزة الإنسان، وعبودية الشهوات هي مهانته.

الخلاصة: العلاقة بين الغرور وزوال الإنسانية علاقة طردية. كلما زاد الغرور، نقصت الإنسانية. فالغرور يحجب عن الإنسان رؤية حقيقة نفسه، ويمنعه من أداء واجباته، ويجعله ظالماً متجبراً.

خامساً: الغرور ودوره في الجهل بحقيقة الرب

الغرور ليس مجرد خطأ أخلاقي، بل هو مرض معرفي عميق:

الغرور يمنع رؤية النعم:
الإنسان المغتر لا يرى النعم التي حوله، أو يراها ويظنها من نفسه. هو ينسى أن كل ما عنده من الله، فيصبح جاحداً للنعمة، وهذا الجحود يفقده القدرة على تقدير ربه.

الغرور يمنع رؤية الذنوب:
المغتر يرى نفسه صالحاً، ويبرر أخطاءه، وينسى ذنوبه. هذه الرؤية المشوهة تمنعه من التوبة والإصلا ح، وتجعله يستمر في المعصية بلا وعي.

الغرور يمنع رؤية الحقيقة:
الغار يحجب عن الإنسان رؤية الحقائق الكبرى: قدرة الله، عدله، عظمته. فيظل الإنسان يعيش في وهم أن الأمور بيده، وأنه المتحكم في مصيره.

الغرور يمنع الشعور بالحاجة:
المغتر يظن نفسه غنياً عن الله، فيبتعد عن الدعاء والعبادة والخشوع. وهو لا يدرك أن غناه الحقيقي إنما هو في افتقاره إلى الله.

الغرور يمنع رؤية المقصد من الوجود:
الإنسان الغار لا يسأل نفسه: لماذا أنا هنا؟ ما هي مهمتي؟ ما هو مصيري؟ فيعيش حياته دون هدف، ودون معنى.

تأمل قول العلماء: قال بعض السلف: "ما غرك بربك الكريم؟" أي: "أَغَرَّكَ كَرَمُهُ؟" فالكرم الإلهي هو نفسه سبب الغرور عند بعض الناس! يستدلون بكرم الله على ترك طاعته، وهذا قلب للحقائق وتلبيس من الشيطان.

سادساً: الاعجاب بالنفس وأخطاره

الاعجاب بالنفس هو أخطر مظاهر الغرور، وهو جوهر الآية:

ما هو الاعجاب بالنفس؟
هو أن يرى الإنسان نفسه في غير موضعها، وأن يظن أن له فضلا ً على غيره، وأن يتغنى بما عنده من مال أو علم أو جاه، متناسياً أن كل هذا من الله. الاعجاب بالنفس هو أن تعجب بحسنك وأنت لا

تملك منه شيئاً، وأن تعجب بعلمك وأنت لا تملك من العلم إلا ما شاء الله، وأن تعجب بقوتك وأنت أضعف من أن تدفع عن نفسك ضراً.

خطره الأول: يحجب عن رؤية العيوب:
المعجب بنفسه لا يرى عيوبه، فيظل على أخطائه دون أن يحاول إصلاحها. هو يشبه المريض الذي لا يشعر بمرضه، فلا يطلب العلاج.

خطره الثاني: يمنع التوبة والاستغفار:
المعجب بنفسه يظن أنه لا يحتاج إلى توبة أو استغفار، فهو يرى نفسه صالحاً كافياً. هذا يمنعه من أعظم أسباب النجاة.

خطره الثالث: يوقع في الكبر والاستعلاء:
الاعجاب بالنفس يؤدي إلى الكبر، والكبر يؤدي إلى الاستعلاء على الناس، والاستعلاء يؤدي إلى الظلم والبغي.

خطره الرابع: يفقد التكريم الإلهي:
الله كرم الإنسان بالعقل والحرية، لكن الاعجاب بالنفس يفقد الإنسان هذا التكريم. فالإنسان المعجب بنفسه يضع عقله في غير موضعه، ويستخدم حريته في غير طاعتها، فيصبح مهاناً بعد أن كان مكرماً.

خطره الخامس: يؤدي إلى الهلاك:
الاعجاب بالنفس هو بداية كل هلاك. به هلك إبليس حين قال "أنا خير منه"، وبه هلك قارون حين قال "إنما أوتيته على علم عندي"، وبه هلك كل متكبر في التاريخ.

مقارنة مع آية أخرى: قال الله تعالى: {فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتقى} [النجم: 32]. فالله ينهى عن تزكية النفس والاعجاب بها، لأن الله هو العالم بحقيقتها.

سابعاً: التكريم الإلهي والمسؤولية المترتبة عليه

هذا المحور يمثل الجانب المشرق من الآية، فذكر "الرب الكريم" يحمل في طياته تذكيراً بالتكريم الإلهي للإنسان:

التكريم الأول: العقل:
العقل هو أعظم ما كرم الله به الإنسان. فهو الذي يفرق بين الإنسان والحيوان، وهو الذي يمكنه من المعرفة والاختيار. لكن هذا العقل ليس مجرد هبة، بل هو مسؤولية. صاحبه مطالب باستخدامه في طاعة الله، لا في معصيته.

التكريم الثاني: الحرية والإرادة:
الله أعطى الإنسان حرية الاختيار، فجعله مخيراً لا مسيراً. هذه الحرية هي أساس التكليف، وبدونها لا يكون هناك حساب ولا ثواب ولا عقاب. لكنها أيضاً مسؤولية، فالإنسان سيُسأل عن استخدامه لهذه الحرية.

التكريم الثالث: الغرائز والنزعات:
الله زود الإنسان بغرائز ونزعات تمكنه من البقاء والتكاثر والاستمرار. لكن هذه الغرائز ليست هدفاً بذاتها، بل هي أدوات يجب أن تستخدم في طاعة الله.

التكريم الرابع: الخلافة في الأرض:
الله جعل الإنسان خليفته في الأرض، وأمره بعمارتها وإصلاحها. هذه الخلافة هي أعلى درجات التكريم، لكنها أيضاً أعلى درجات المسؤولية.

التكريم الخامس: الاستخلاف في النفس:
الإنسان مكلف بإدارة نفسه، وتهذيب أخلاقه، وتزكية روحه. هو مسؤول عن نفسه كما هو مسؤول عن غيره.

العلاقة بين التكريم والمسؤولية:
كلما زاد التكريم، زادت المسؤولية. الإنسان الذي أعطي العقل والحرية والخلافة، هو أكثر الناس مسؤولية. وهذا هو معنى "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ".

ثامناً: الغرور وانعكاسه على حياة الإنسان العملية

الغرور ليس مجرد حالة نفسية، بل له انعكاسات عملية على حياة الإنسان:

في العلاقة مع الله:
الغرور يقطع العلاقة مع الله، فلا يدعو الإنسان ربه، ولا يخشاه، ولا يرجوه. يصبح الإنسان وكأنه مستغنٍ عن الله، وهذا هو أعلى درجات البعد.

في العلاقة مع النفس:
الغرور يجعل الإنسان لا يرى عيوبه، فيظل على أخطائه دون محاولة إصلاحها. يظن نفسه كاملاً، وهذا الوهم يمنعه من التطور والتحسن.

في العلاقة مع الآخرين:
الغرور يجعل الإنسان متعالياً على الآخرين، فيظلمهم ويستخف بهم. يرى نفسه أفضل منهم، فيتعامل معهم بازدراء.

في الإنتاج والعمل:
الغرور قد يدفع الإنسان إلى التهاون في عمله، لأنه يظن أنه فوق النقد أو أنه لا يحتاج إلى تطوير. كما قد يدفعه إلى المغامرة غير المحسوبة، لأنه يظن نفسه قادراً على كل شيء.

في القرارات المصيرية:
الغرور قد يدفع الإنسان إلى قرارات خاطئة، لأنه لا يستشير أحداً، ولا يستمع لنصيحة. يظن أن رأيه هو الأصوب، وهذا الخطأ قد يكلفه كثيراً.

في التوبة والاستغفار:
الغرور يمنع الإنسان من التوبة والاستغفار، لأنه لا يرى ذنوبه، أو يراها ويستهين بها. يظن أن الله سيتجاوز عنه بلا توبة، وهذا هو الخطر الأكبر.

تاسعاً: الحوار الإلهي وأهميته في التربية والدعوة

هذه الآية تمثل نموذجاً رائعاً للحوار الإلهي، وهي تعلمنا أصولاً مهمة في الحوار والنقاش:

أولاً: الحوار يبدأ بالسؤال:
الله لم يوبخ الإنسان مباشرة، بل بدأ بسؤال: "ما غرك بربك الكريم؟". السؤال هو أداة الحوار التي تفتح العقل وتدعو للتفكير. السؤال يحترم عقل المخاطب، ويدعوه للمشاركة في الوصول إلى الحقيقة.

ثانياً: الحوار يعتمد على المصارحة والمكاشفة:
الله يكاشف الإنسان بحقيقة وضعه، ويصارحه بمرضه. هذا هو أساس الحوار الناجح: الصراحة في بيان مواطن الداء والخلل. كما أن الطبيب لا يشفى مريضاً إلا إذا صارحه بمرضه، فإن الداعية لا يصلح مريضاً إلا إذا كاشفه بعيوبه.

ثالثاً: الحوار يهدف إلى استجلاب الهداية:
الهدف من الحوار ليس إحراج المخاطب، بل إيصاله إلى الحق. أسئلة الله للإنسان ليست للتوبيخ فقط ، بل لإيقاظه من غفلته، ودعوته للتوبة.

رابعاً: الحوار يختار الألفاظ المؤثرة:

"ما غرك بربك الكريم" هي كلمات تصل إلى أعماق النفس. اختيار "الكريم" بدلا ً من "القهار" يحمل رسالة الأمل، ويجعل السؤال أكثر تأثيراً. الكلمات التي تصل إلى القلب هي التي تغير السلوك.

خامساً: الحوار يهز الكيان:
الأسئلة الإلهية تهدف إلى هزة ارتجاجية تهز كيان الإنسان، وتوقظه من غفلته. الأسئلة المتتالية في الآ يات التالية ستهز الإنسان أكثر: "ما غرك؟" "أين عقلك؟" "ألا ترحم نفسك؟" هذه الأسئلة تعمل كصدمة كهربائية للوعي.

سادساً: الحوار يعتمد على التدرج:
الله بدأ بالسؤال عن الغرور (المرض العقلي)، ثم سيسأل في الآيات التالية عن أسباب أخرى. هذا التدرج يسمح للإنسان باستيعاب الرسالة تدريجياً.

عاشراً: الغرور كمرض روحي يحتاج إلى علاج

تشير الآية إلى أن الغرور هو داء روحي خطير، يحتاج إلى علاج:

تشخيص الداء:
الغرور هو أن يرى الإنسان نفسه في غير موضعها، وأن يظن نفسه فوق حاجتها إلى الله. إنه داء الكبر والعجب، وهو من أخطر أمراض القلوب.

أعراض الداء:

· قلة الخشوع في العبادة.
· التهاون بالذنوب.
· الاستعلاء على الناس.
· عدم قبول النصيحة.
· الاعتماد على النفس ونسيان الله.
· الجرأة على المعاصي.

علاج الداء الأول: تذكر الموت والقبر:
الموت يذكر الإنسان بضعفه، والقبر يذكره بأنه سيكون تحت التراب مثل أي إنسان آخر. هذا التذكر يقضي على الغرور.

علاج الداء الثاني: تذكر النعم:
تذكر أن كل نعمة عندك من الله، وأنك لا تملك شيئاً من ذاتك. هذا التذكر يقتل العجب، ويبعث على الشكر.

علاج الداء الثالث: مجالسة الصالحين:
رؤية الصالحين وتواضعهم يعالج الغرور، ويذكر الإنسان بأن هناك من هو أفضل منه.

علاج الداء الرابع: النظر في عيوب النفس:
الجلسات الذاتية لمراجعة النفس تكشف العيوب، وتقتل الغرور.

علاج الداء الخامس: الدعاء والاستغفار:
الدعاء يذكر الإنسان بفقره إلى الله، والاستغفار يذكره بذنوبه. كلاهما يعالج الغرور.

علاج الداء السادس: التفكر في خلق الله:
التفكر في عظمة الكون وفي ضعف الإنسان يزرع التواضع في النفس.

الحادية عشرة: أسئلة الآية ودلالاتها العميقة

الآية تحمل سؤالا ً واحداً لكنه يتفرع إلى أسئلة كثيرة، كلها تهدف إلى كشف حقيقة الإنسان:

"ما غَرَّكَ": أي ما الذي خدعك وأغواك؟ هل غَرَّك طول الأمل؟ هل غَرَّك العفو الإلهي؟ هل غَرَّك ستر الله لذنوبك؟ هل غَرَّك قلة المعاقبين من حولك؟ هل غَرَّك الشيطان؟

"بِرَبِّكَ": أي كيف تجرأت على ربك؟ كيف عصيت من رباك وأحسن إليك؟ كيف خالفت من أنعم عليك بكل نعمة؟

"الكريم": أي كيف تغتر بكريم؟ كيف تجرأ على من يُفيض عليك النعم ويستر عيوبك ويمهل في العقوبة؟ أليس كرمه يدعوك إلى شكره لا إلى معصيته؟

الأسئلة الممتدة من الآية:

· ما الذي جرأك على الذنب؟
· ما الذي أغواك حتى عصيت ربك؟
· ما الذي خذلك حتى نسيت نفسك وأوردتها موارد الهلاك؟
· ما هو المرض والداء الذي أصارك وجعلك في غفلة؟
· لماذا لم تنهض من نومك وتقوم بالمهمة التي كلفت بها؟
· أين عقلك؟
· أما ترحم نفسك من الوقوف بين يدي الله كما ترحم غيرك؟

هذه الأسئلة هي دعوة للتفكر والمراجعة، وهي تهدف إلى هزة روحية تغير مسار حياة الإنسان.

الثانية عشرة: كيف نستشعر هذه الآية في حياتنا؟

في لحظات الغرور:
كلما شعرت بالغرور أو العجب، تذكر هذه الآية. تذكر أن كل ما عندك من الله، وأنك لا تملك شيئاً. تذكر أن الكرم الإلهي ليس دليلا ً على قبول عملك، بل هو اختبار لك.

في لحظات المعصية:
كلما هممت بمعصية، تذكر سؤال "ما غرك بربك الكريم؟". تذكر أن الله يراك، وأنه سيسألك عن كل صغيرة وكبيرة. اسأل نفسك: هل هذا العمل يليق بمن يعلم أن ربه الكريم يراه؟

في لحظات الغفلة:
كلما شعرت بالغفلة عن ذكر الله، تذكر أن الغفلة هي بداية كل شر. استيقظ من نومك، وقم بواجبك، وتذكر أنك خليفة في الأرض.

في التعامل مع الآخرين:
تذكر أن الغرور هو عدو الإنسانية، فتواضع في تعاملك مع الناس. تذكر أن كل الناس سواسية أمام الله، وأن التفاضل إنما هو بالتقوى.

في الدعوة إلى الله:
تعلم من أسلوب الله في الحوار: ابدأ بالسؤال، واختر الألفاظ المؤثرة، وكن صريحاً في بيان الداء، وكن رحيماً في تقديم الدواء.

في مراجعة النفس:
اجعل لهذا السؤال وردا يومياً: "ما غرني بربي الكريم؟". راجع علاقتك مع الله، واسأل نفسك بصدق عن أسباب غرورك.

الثالثة عشرة: الدروس الكبرى من الآية

الدرس الأول: خطورة الغرور:
الغرور هو أخطر أمراض النفس، وهو أساس كل ذنب. من غرته نفسه هلك، ومن تواضع لله نجا.

الدرس الثاني: كرم الله رغم معصيتنا:
الله كريم، وهو يفيض على الإنسان بالنعم حتى وهو يعصيه. لكن كرمه هذا ليس دعوة للمعصية، بل هو استدعاء للتوبة.

الدرس الثالث: الحوار هو أسلوب التربية:
الله يربي الإنسان بالحوار، وليس بالإكراه. هو يسأل الإنسان ليفكر، وليس ليعاقبه.

الدرس الرابع: المسؤولية مرتبطة بالتكريم:
كلما زاد التكريم، زادت المسؤولية. الإنسان مكرم بالعقل والحرية، وهو مسؤول عن استخدامهما.

الدرس الخامس: الإنسانية في التواضع:
الإنسانية الحقيقية هي في التواضع لله، وفي الشعور بالحاجة إليه، وفي قبول النصيحة والمراجعة.

الدرس السادس: التوبة باب مفتوح:
السؤال "ما غرك بربك الكريم" يحمل في طياته دعوة للتوبة. فالله الكريم يغفر الذنوب، وينتظر عودة عبده.

الدرس السابع: التفكر في النعم:
النعم الإلهية ليست دليلاً على القبول، بل هي اختبار. من شكر الله على نعمه زاده، ومن كفرها عاقبه.

الدرس الثامن: مراجعة النفس واجب يومي:
لا تنتظر يوم القيامة لتعلم ما غرك بربك، بل راجع نفسك اليوم وكل يوم.

رسالة الختام: الآية كمنهج حياة

إن هذه الآية الكريمة ليست مجرد استفهام توبيخي، بل هي منهج حياة متكامل:

تذكر أن الغرور هو بداية الهلاك:
كلما شعرت بالغرور، تذكر أن إبليس هلك بالغرور، وأن قارون هلك بالغرور، وأن كل متكبر في التاريخ هلك بغروره.

تذكر أن الكرم الإلهي ليس دعوة للمعصية:
الله كريم، لكن كرمه ليس ذريعة للتمرّد. بل هو استدعاء للشكر والطاعة، ودعوة للتوبة والمغفرة.

تذكر أن التكريم الإلهي مسؤولية:
أنت مكرم بالعقل والحرية، وأنت مسؤول عن كل استخداماتهما. لا تستخدم عقلك في معصية الله، و لا تستخدم حريتك في انتهاك حدوده.

تذكر أن الإنسانية في التواضع:
الإنسانية الحقيقية هي في الشعور بالحاجة إلى الله، وفي التواضع للخلق، وفي الاعتراف بالخطأ، وفي التوبة عن الذنب.

اجعل سؤال الآية شعار حياتك:
اسأل نفسك كل يوم: "ما غرني بربي الكريم؟" هذا السؤال سيبقيك يقظاً، وسيمنعك من الغفلة، وسيدفعك للتوبة والاستغفار.

يا طالب المعرفة، ويا ساعياً إلى الكمال:

لا تغتر بعملك، ولا تغتر بعلمك، ولا تغتر بمنصبك، ولا تغتر بمالك، ولا تغتر بحسنك، ولا تغتر بكثرة عبادتك. كل هذا من الله، وأنت لا تملك منه شيئاً.

الغرور يزيل الإنسانية، والتواضع يرفعها. الغرور يمنع التوبة، والتواضع يفتح بابها. الغرور يؤدي إلى اله

لاك، والتواضع يؤدي إلى الفلاح.

لا تنتظر حتى يسألك الله يوم القيامة "ما غرك بربك الكريم" لتجيب. اسأل نفسك اليوم، وتب إلى الله اليوم، وتواضع لله اليوم.

تذكر دائماً أن الله هو الرب الكريم، الذي يفيض عليك النعم، ويستر عيوبك، ويمهل في العقوبة. وهذا الكرم ليس ذريعة للمعصية، بل هو دافع للشكر والطاعة.

نسأل الله أن يخلصنا من الغرور، وأن يلبسنا ثوب التواضع، وأن يعيننا على شكره وذكره وحسن عبادته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الثاني

،تفسير الآيتين 7-8 من سورة الانفطار

}الذي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ{

المقدمة: من سؤال التوبيخ إلى جواب التذكير

بعد أن وجه الله سؤاله المهيب للإنسان: "مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ"، يأتي الآن الجواب الذي يكشف زيف الغرور، ويحطم أوهام الاعجاب بالنفس. إنه تذكير بالحقيقة الأولى التي يجب أن تستقر في وجدان ا لإنسان: حقيقة خلقه وتكوينه.

فالغرور الذي استولى على الإنسان وجعله يجرؤ على معصية ربه، إنما ينبع من نسيان أصله، وغفلته عن حقيقة وجوده. والعلاج من هذا الداء هو التذكير بتلك الحقيقة: أنت مخلوق، وأنت مسوّى، وأنت معدل، وأنت مركب في الصورة التي شاءها ربك. فمن أين يأتي الغرور؟ ومن أين يأتي الاعجاب ب النفس؟

إن هاتين الآيتين تمثلان الانتقال من التوبيخ إلى التذكير، من السؤال عن سبب الغرور إلى عرض الأ دلة التي تقضي عليه. إنها دعوة للتفكر في الخلق والتكوين، ليدرك الإنسان حقيقة وضعه، ويعود إلى رشده.

أولا ً: التحليل اللغوي والمفهومي العميق

"الذي خَلَقَكَ" : الخلق هو الإيجاد من العدم، وإبراز الشيء إلى الوجود بعد أن لم يكن .والخلق هنا يشير إلى أصل وجود الإنسان، وإلى أن الله هو الذي أوجده من العدم، ولم يكن له وجود قبل ذلك . وهذا التذكير بأصل الوجود هو أول خطوة في علاج الغرور.

"فَسَوَّاكَ" : التسوية هي جعل الشيء مستوياً معتدلا ً متناسباً .وهي تشير إلى أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، وجعل أعضاءه متناسبة، وخلقه معتدل القامة .والتسوية تشمل التسوية الخَلقية)البنية الجسدية (والتسوية الخُلقية) تهيئة الفطرة السليمة .(وهي تعني أن الله لم يخلق الإنسان ناقصاً أو مشوهاً، بل خلقه تاماً كاملا ً في أحسن صورة.

"فَعَدَلَكَ" : العدل هو جعل الشيء مستقيماً معتدلا ً من غير ميل ولا انحراف، وهو إحكام الخلق وإتقانه .والعدل هنا يشير إلى إتقان الخلق الإلهي، وإلى أن الله جعل أعضاء الإنسان متناسبة متوازنة، وقواه متكاملة .قال المفسرون: "عدلك" أي قوّمك وعدّل خلقك، فجعل كل عضو من أعضائك في موضعه اللائق به .ومن معاني العدل: تسوية الخلقة واعتدالها، ومنع التفاوت والخلل فيها.

"فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ" : الصورة هي الهيئة والمنظر الذي يبدو عليه الشيء .والتركيب هو الجمع بين الأجزاء المختلفة لتكوين شيء واحد .والمعنى: في أي شكل وهيئة أرادها الله ركّبك وصوّرك .وهذه الجملة تحمل معنى التعجيب من قدرة الله، حيث خلق الإنسان في أحسن صورة، وركبه في أحسن تركيب.

"مَا شَاءَ" : هذه العبارة تؤكد أن الصورة التي خلق الله الإنسان عليها هي بمشيئته وإرادته، وليست صدفة أو عبثاً .وهو يريد من الإنسان أن يتأمل هذه الصورة، فيدرك عظمة خالقه، ويعرف قدر نعمته

عليه.

المعنى الإجمالي: إن الله الذي أوجدك من العدم، هو الذي جعلك مستوياً معتدلا ً متناسب الخلق، وأتقن خلقك وأحكمه، وركبك في الصورة التي أرادها لك، وجعل لك شكلا ً وهيئة لم يمنحها لغيره من المخلوقات، فكيف تغتر بنفسك وتنسى فضل خالقك؟ وكيف تجرؤ على معصيته وهو الذي أنعم عليك بهذه النعم العظيمة؟

ثانياً: مشاهدة نعم الله ودورها في تحقيق الغاية الوجودية

تتجلى في هاتين الآيتين دعوة صريحة لمشاهدة نعم الله والإحساس بعنايته ورعايته، وذلك من خلا ل تتبع مراحل الخلق الإنساني:

الخلق من العدم: تذكير بالضعف الأصلي:
عندما يتذكر الإنسان أنه كان عدماً، ثم أوجده الله من العدم، فإنه يدرك ضعفه الأصلي، ويذوب غروره. فكيف يغتر من كان عدماً؟ وكيف يتكبر من أوجده الله من تراب؟

التسوية: تذكير بالإحسان والكمال:
عندما يرى الإنسان أعضاءه متسقة، وخلقه معتدلا ً، وأحاسيسه متكاملة، فإنه يشعر بفضل الله الذي أكرمه بهذه النعم. فهو لم يخلق مشوهاً، ولم يخلق ناقصاً، بل خلقه في أحسن تقويم. هذه المشاهدة تولد في النفس شعوراً بالامتنان، وتدفع إلى الشكر والطاعة.

العدل: تذكير بالإتقان والإحكام:
عندما يتأمل الإنسان في دقة خلقته، وتناسب أعضائه، وتكامل وظائفه، فإنه يدرك إتقان الخالق وحكمته. كل عضو في جسده موضوع في موضعه بدقة، وكل وظيفة تؤدي غرضها بإتقان. هذا الإ تقان يشير إلى أن للخلق غاية، وللوجود هدفاً.

التركيب في الصورة: تذكير بالتفضيل والتكريم:
عندما يرى الإنسان أنه مخلوق في أحسن صورة، وأنه مكرم على سائر المخلوقات، فإنه يدرك أن له مسؤولية خاصة. التكريم ليس لمجرد التكريم، بل هو من أجل التكليف. فالإنسان مكرم بالعقل و الحرية، ومكلف بالخلافة في الأرض.

الغاية من هذه المشاهدة: أن يدرك الإنسان أن وجوده ليس عبثاً، وأن كل نعمة أنعمها الله عليه هي وسيلة لتحقيق الغاية من وجوده: عبادة الله والقيام بواجب الخلافة. فمشاهدة النعم تدفع إلى الشكر، والشكر يدفع إلى الطاعة، والطاعة تحقق الغاية من الوجود.

ثالثاً: الخلق على العدل والتسوية كأساس للوظيفة الوجودية

إن ذكر "الخلق، والتسوية، والعدل" في سياق الحديث عن الغرور يحمل دلالة بالغة الأهمية، وهي أن ا لإنسان خُلق على نظام من العدل والتسوية، وهذا النظام هو الأساس الذي يقوم عليه تكليفه:

العدل والتسوية في الخلق:
الله خلق كل شيء على نظام من العدل والتسوية. السماوات مرفوعة بغير عمد، والأرض موضوعة على نظام محكم، والكواكب تسير في أفلاكها بدقة. هذا النظام الكوني كله قائم على العدل والتسوية.

العدل والتسوية في أمر الإنسان:
كما أن الله خلق الإنسان على العدل والتسوية في بنيته الجسدية، فإنه أمره أيضاً بالعدل والتسوية في سلوكه وأخلاقه. الإنسان مخلوق على الفطرة السليمة، ومأمور بالاستقامة عليها.

العدل والتسوية في التكليف:
التكليف الإلهي قائم على العدل: {وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا}. فالله لا يكلف الإنسان فوق طاقته، ولا يعاقبه بغير ذنب، ولا يحاسبه إلا بما عملت يداه.

العدل والتسوية في الجزاء:
الجزاء الإلهي قائم على العدل: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}.

معنى العدل والتسوية في الخلق:
أن الله خلق الإنسان معتدلا ً متناسباً، وجعل كل عضو في موضعه، وكل وظيفة في مكانها. وهذا العدل الخَلقي يشير إلى أن للوجود نظاماً، وأن الانحراف عن هذا النظام هو ظلم للذات وتفريط في المسؤولية.

الغرض من هذا النظام: ليكون الإنسان قادراً على أداء الوظيفة التي خلق من أجلها. فالإنسان الذي خلق معتدلا ً، وأعطي عقلا ً وحرية، قادر على الاختيار والتمييز، وقادر على أداء مهمة الخلافة في الأرض.

الانحراف عن المنهج وفقدان القيمة:
إذا انحرف الإنسان عن المنهج الذي حدده الله، فإنه يفقد قيمته وتكريمه. فالمنهج الإلهي هو الذي يحدد السلوك الإنساني المنضبط، والانحراف عنه يعني العودة إلى الفوضى والظلم، وهذا يقلب نظام العدل والتسوية الذي خلقه الله.

رابعاً: لماذا ورد القيد للإنسان بالتسوية والعدل والخلق؟

ورود هذه الصفات الثلاث في سياق الحديث عن الإنسان تحديداً يحمل حكماً بالغة الدقة، تتعلق بمقام الآية وغرضها:

لمعالجة سوء الفهم لأنعام الله:
كثير من الناس يسيء فهم أنعام الله عليه. يظن أن النعم التي أعطاه الله هي دليل على استحقاقه، أو أنها من ذاته، أو أنها عطية بلا مسؤولية. فيأتيه التذكير بأن هذه النعم ليست من عنده، بل هي من عند الله، وأنها مرتبطة بمسؤولية.

لمعالجة مفهوم حب الذات المشوه:
حب الذات هو غريزة فطرية في الإنسان، لكنها قد تنحرف إلى غرور وعجب. فبدلا ً من أن يحب ا لإنسان ذاته في الله، وفي طاعة الله، يصبح حب الذات هو الغاية في حد ذاته. الآيات تعيد توجيه حب الذات إلى مساره الصحيح: أن تحب نفسك فتخاف عليها من العقاب، وتحرص على فلاحها، وتعمل لها ما ينفعها في الآخرة.

لتذكير الإنسان بمسؤولية التكريم:
إن التذكير بالخلق والتسوية والعدل هو تذكير بأن الله كرم الإنسان وفضله على كثير من خلقه. و التكريم ليس من أجل الفخر، بل من أجل تحمل المسؤولية. فالإنسان المكرم بالعقل والحرية، مكلف باستخدامها في طاعة الله.

لإقامة الحجة على الإنسان:
عندما يذكر الله الإنسان بأنه خلقه وسواه وعدله، فإنه يقيم عليه الحجة. فإذا كان الله قد أنعم عليه بهذه النعم، فكيف يعصيه؟ وكيف ينسى فضله عليه؟

للتذكير بأن الخلق كله قائم على العدل:
الإنسان جزء من كون قائم على العدل والتسوية. الكون كله يسير بنظام محكم، والإنسان أيضاً خلق على هذا النظام. فإذا انحرف الإنسان عن هذا النظام، فإنه يخل بالعدل الكوني، ويظلم نفسه ويظلم غيره.

الربط بقوله في موضع آخر: قال الله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ} [الأعلى: 2-3]. وقال: {رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ} [طه: 50]. هذه الآيات تؤكد أن الخلق والتسوية و الهداية كلها من الله، وأن لكل مخلوق ما يناسبه من خلق وهداية.

خامساً: معركة الإنسان مع ذاته وحب الذات الحقيقي

إن الآيات التي أمامنا تضعنا في قلب المعركة الإنسانية الكبرى: معركة الإنسان مع ذاته:

حب الذات الحقيقي:
حب الذات ليس مذموماً في ذاته، بل هو غريزة فطرية جعلها الله في الإنسان لتدفعه إلى البقاء و الكمال. لكن المشكلة تبدأ عندما ينحرف هذا الحب عن مساره الصحيح.

حب الذات المشوه (الغرور):
هو أن يحب الإنسان نفسه لذاتها، دون النظر إلى الله، ودون مراعاة المسؤولية. هذا الحب يجعله يغتر بنفسه، وينسى ربه، ويتجاوز حدوده.

حب الذات الحقيقي:
هو أن يحب الإنسان نفسه في الله، وأن يحرص على نجاة نفسه وفلاحها. هذا الحب يدفعه إلى طاعة الله، وإلى العمل الصالح، وإلى اجتناب المعاصي.

حب الذات وخوف الله:
حب الذات الحقيقي يتجلى في خوف الله. فالإنسان الذي يخاف على نفسه من عذاب الله، يحرص على طاعته، ويجتنب معصيته. هذا الخوف ليس خوفاً مذموماً، بل هو خوف العارف المحب الذي يخاف على نفسه من العقاب.

حب الذات والاستعداد لليوم الآخر:
حب الذات الحقيقي يجعل الإنسان ينظر إلى اليوم الآخر نظرة العاقل المستعد. فهو يدرك أن هذا اليوم هو يوم الحساب والجزاء، يوم الفشل أو النجاح، يوم العذاب أو النعيم. وعندها يضطر إلى تصحيح النية والقصد في أقواله وأفعاله.

حب الذات والعمل الصالح:
حب الذات الحقيقي يدفع الإنسان إلى الحرص على العمل الصالح، لأنه يعلم أن هذا العمل هو ما سينفعه في الآخرة. كما يدفعه إلى الابتعاد عن السيئات، لأنه يعلم أنها ما ستضره في الآخرة.

الخلاصة: حب الذات الحقيقي يدفع الإنسان إلى خوف الله وطاعته والعمل الصالح، بينما حب الذات المشوه (الغرور) يدفعه إلى معصية الله والغفلة عن الآخرة.

سادساً: التكريم والتفضيل والعلم والارادة

تتضمن الآيات إشارة إلى التكريم الإلهي للإنسان، وتفصيل هذا التكريم:

التكريم بالخلق والتسوية:
الإنسان مكرم بأن الله خلقه في أحسن صورة، وسوّى خلقه، وعدّله. هذه التسوية والعدل هي تكريم في حد ذاتها، فالإنسان ليس كسائر المخلوقات، بل له مكانة خاصة.

التكريم بالعلم:
الله علم الإنسان ما لم يعلم، وفضله بالعلم على كثير من خلقه. هذا العلم هو سلاح الإنسان في حياته، وهو ما يجعله قادراً على التمييز بين الحق والباطل.

التكريم بالإرادة والحرية:
الإنسان مكرم بالإرادة الحرة، فهو مخير وليس مسيراً. لكن هذه الإرادة ليست عبثاً، بل هي وسيلة لتحقيق التكليف. فالإنسان له أن يختار، وهو مسؤول عن اختياراته.

معنى أن تكون حركة الإنسان منسجمة مع حركة الكون:
الكون كله يتحرك بأمر الله، ويسير بنظامه. الشمس تشرق وتغرب بأمر الله، والقمر يدور في فلكه بأمر الله، والكواكب تسير في مساراتها بأمر الله. والإنسان، بما له من إرادة، مطالب بأن تكون حركته منسجمة مع هذه الحركة الكونية، بأن يتبع أوامر الله، ويجتنب نواهيه.

الخلق والتسوية في الكون وفي الإنسان:
الكون خلق على نظام من التسوية والعدل. الشمس والقمر والنجوم كلها تسير بنظام محكم. وكذلك الإ نسان خلق على نظام من التسوية والعدل. وهذا التشابه يشير إلى أن الإنسان جزء من هذا الكون المنظم، وأن عليه أن يعيش منسجماً مع نظامه.

الكون مجبور، والإنسان مخير:
الكون كله مسخّر، يسير بأمر الله دون اختيار. الشمس لا تختار أن تشرق أو لا تشرق، والقمر لا يختار أن يدور أو لا يدور. أما الإنسان فله إرادة، وهذا هو امتيازه وتكريمه، وهو أيضاً مصدر مسؤوليته.

مخالفة الأمر فيها ظلم وجهل:
عندما يخالف الإنسان أمر الله، فهو يظلم نفسه ويظلم غيره، ويجهل الغاية من وجوده. لأن العدل و التسوية اللذين خلق الله عليهما الكون والإنسان، يقتضيان أن يسير الإنسان على المنهج الإلهي.

سابعاً: العدل والتسوية في الخلق والمصنوعات

هذه المقارنة بين الخلق الإلهي والصنع البشري تحمل دلالة بالغة:

الخلق الإلهي: قائم على العدل والتسوية:
الله خلق كل شيء بحكمة وعدل. السماوات والأرض والكواكب والبحار، كلها خلقت على نظام محكم، لا خلل فيه ولا تفاوت.

المصنوعات البشرية: تقوم على العدل والتسوية أيضاً:
أي صنعة يقوم بها الإنسان، تقوم على العدل والتسوية. فالبناء لا يقوم إلا إذا كانت أساساته متساوية، والآلة لا تعمل إلا إذا كانت أجزاؤها متناسقة، والكتابة لا تكون مقروءة إلا إذا كانت حروفها متساوية.

من يصنع بغير عدل يقع في الفساد:
إذا حاول الإنسان أن يبني بيتاً بغير تسوية، فإنه ينهار. وإذا صنع آلة بغير اتزان، فإنها لا تعمل. وإذا كتب بغير نظام، فلا يُقرأ. فالفساد لازم لكل صنع لا يقوم على العدل والتسوية.

التطبيق على الإنسان:
الإنسان الذي يخرج عن المنهج الإلهي، يكون كمن يصنع بغير عدل. حياته تصبح غير متوازنة، وأخلا قه تصبح غير مستقيمة، ومصيره يصبح غير مضمون. الفساد لازم لمن يحاول أن يعيش بغير المنهج الإلهي.

العدل والتسوية أساس كل خير:
العدل أساس الخير في الدنيا والآخرة. فالعدل في التعامل، والعدل في الحكم، والعدل في التوزيع، كلها أسباب للسعادة والاستقرار. والتسوية في الخلق، والتسوية في السلوك، كلها أسباب للكمال و النجاح.

ثامناً: التركيب الإنساني ودوره في إخراج الإنسان من الجهل والجحود

إن تذكر التركيب الإنساني الجميل هو وسيلة فعالة لإخراج الإنسان من الجهل والجحود والغرور:

تأمل الصورة الجميلة:
عندما ينظر الإنسان إلى صورته، ويرى جمالها وتناسقها، فإنه يتذكر أن هذه الصورة ليست من صنعه، بل من صنع خالقه. الجمال الذي يراه ليس جماله، بل هو جمال صنعة الله فيه. هذا التذكر يقضي على الغرور.

تأمل البنية المحكمة:
كل عضو في جسده له وظيفة، وكل وظيفة تؤدي غرضها، وكل عضو في موضعه. هذا الإتقان في التركيب يذكر الإنسان بعظمة خالقه، وبحكمته في الخلق.

تأمل التكريم بالصورة:
الله اختار للإنسان هذه الصورة، وجعله في أحسن تقويم. هذا التكريم يستدعي الشكر، والشكر يستدعي الطاعة، والطاعة تستدعي العمل الصالح.

الجهل والجحود:
الإنسان الجاهل يظن أن جماله من عنده، وأن ما لديه من نعم هو من ذاته. هذا الجهل يؤدي به إلى الجحود، فينسى فضل ربه عليه، وينسب النعم لنفسه.

الربط بين الإنكار وذكر البنية:
الله ينكر على الإنسان جحوده بعد أن ذكره ببنية خلقه. وكأنه يقول: كيف تجحد فضلي وأنت ترى صورتي فيك؟ كيف تعصيني وأنا الذي خلقتك في أحسن صورة؟ كيف تغتر بنفسك وأنا الذي سويت خلقك وعدلته؟

الغاية من التركيب الجميل:
الغاية من هذا التركيب الجميل ليست لمجرد الزينة، بل لتحقيق الهدف من وجود الإنسان: عبادة الله والقيام بواجب الخلافة. فالصورة الجميلة هي أداة، والجمال فيها إشارة إلى جمال الخالق.

تاسعاً: التقدير السليم للحقائق والأشياء

تدعو الآيات إلى تقدير سليم للحقائق والأشياء، وهذا التقدير هو أساس الإيمان والعمل الصالح:

النظر إلى حقيقة المنهج الإلهي:
المنهج الإلهي هو العدل، والعدل هو النفع، والحق هو التكريم. عندما يدرك الإنسان أن المنهج الإلهي قائم على العدل، وأنه في صالحه، فإنه يتبعه عن قناعة ورغبة.

طلب معرفة الرب بالعلم الفطري:
الله غرس في فطرة الإنسان معرفته، وجعل له عقلا ً يدرك به الحق، وقلباً يحب به الخير. فالإنسان مأمور بطلب معرفة ربه، وهذه المعرفة هي الطريق إلى الهداية.

الشعور بالحاجة والافتقار إلى الله:
عندما يعرف الإنسان ربه، ويعرف نعمه وإحسانه، يدرك أنه بحاجة إليه، ومفتقر إليه. هذا الشعور يولد خوف الله، والخوف يدفع إلى الطاعة، والطاعة تحقق الفلاح.

التخلص من الغرور:
الغرور يفسد القوى العقلية، ويحجب الرؤية، ويمنع الإنسان من رؤية الحق. التخلص من الغرور هو شرط لرؤية الحق واتباعه.

العلم بالحق يوصلك إلى اتباعه:
عندما يعرف الإنسان الحق، ويقتنع به، فإنه يتبعه. لأن الحق معلوم محبوب للفطرة، والفطرة تميل إليه وتأنس به.

الله يعاتب عباده على الغرور:
الله يعاتب الإنسان على غروره، ويذكره بأنه مسؤول عن النعم التي أنعمها عليه. فكل نعمة هي نعمة، وكل فضل هو فضل، وكل تكريم هو تكريم، والإنسان مسؤول عن كل ذلك.

عاشراً: الحوار الإلهي وأهميته في التربية

تقدم لنا هذه الآيات نموذجاً رائعاً للحوار الإلهي، وهي تعلمنا أصولا ً مهمة في التربية والدعوة:

الحوار يبدأ بالتذكير بالنعم:
قبل أن يعاتب الله الإنسان، يذكره بنعمه عليه: خلقه، تسويته، عدله، تركيبه. هذا التذكير يفتح القلب،

ويهيئ النفس لتقبل العتاب.

الحوار ينتقل من التذكير إلى السؤال:
بعد التذكير بالنعم، يأتي السؤال المحرج: "ما غرك بربك الكريم؟". هذا الأسلوب يجعل الإنسان يكتشف خطأه بنفسه، بدلا ً من أن يفرض عليه.

الحوار يهدف إلى تغيير السلوك:
الهدف من الحوار ليس مجرد التوبيخ، بل تغيير السلوك. فالتذكير بالنعم، والسؤال عن الغرور، كلها تهدف إلى إيقاظ الإنسان، ودعوته للتوبة.

الحوار يعتمد على المصارحة:
الله يصارح الإنسان بحقيقة وضعه، ويكاشفه بمرضه، دون مواربة أو مجاملة. هذه الصراحة هي أساس الحوار الناجح.

الحوار يختار الألفاظ المؤثرة:
اختيار الكلمات مثل "خلق، سوى، عدل، ركب" كلها كلمات تصل إلى أعماق النفس، وتحدث هزة روحية تغير مسار الحياة.

الحوار يعتمد على التدرج:
بدأ الله بالخلق، ثم التسوية، ثم العدل، ثم التركيب. هذا التدرج يسمح للإنسان باستيعاب الرسالة تدريجياً.

الحادية عشرة: القضايا الكبرى والدروس المستفادة

القضية الأولى: الغرور هو عدو الإنسانية:
الغرور يفقد الإنسان إنسانيته، ويجعله ينسى أصله وغايته. والتذكير بالخلق والتسوية هو العلاج من هذا الداء.

القضية الثانية: النعم وسيلة للاختبار:
كل نعمة أنعمها الله على الإنسان هي وسيلة لاختباره، وليس دليلا ً على رضاه عنه. فمن شكر النعم زاده، ومن كفرها عاقبه.

القضية الثالثة: العدل أساس الوجود:
الكون كله قائم على العدل والتسوية، والإنسان مأمور أن يكون جزءاً من هذا النظام، لا أن يخرج عنه.

القضية الرابعة: التكريم مسؤولية:
تكريم الله للإنسان بالعقل والحرية هو من أجل المسؤولية، وليس من أجل الترفع على الآخرين.

القضية الخامسة: حب الذات الحقيقي:
حب الذات الحقيقي هو أن تخاف على نفسك من عذاب الله، وتحرص على فلاحها في الآخرة.

القضية السادسة: معرفة الله بالفطرة:
الله غرس في فطرة الإنسان معرفته، والعقل قادر على إدراك الحق إذا لم يحجبه الغرور.

القضية السابعة: الصورة الجميلة تذكير بالخالق:
الجمال الذي يراه الإنسان في نفسه هو جمال صنعة الله، وليس جمالا ً من عنده. هذا التذكر يقضي على الغرور.

الثانية عشرة: كيف نستشعر هذه الآيات في حياتنا؟

تأمل خلقك كل يوم:

انظر إلى نفسك في المرآة، وتأمل جمال صورتك، وتناسب أعضائك، وإتقان خلقك. تذكر أن هذا كله من عند الله، وليس من عندك.

اشكر الله على نعمك:
كل نعمة تراها في نفسك، اشكر الله عليها. الشكر يزيد النعم، والكفر يزيلها.

تواضع لله وللناس:
تذكر أنك مخلوق، وأن كل ما عندك من الله. التواضع هو ثمرة معرفة حقيقة النفس.

راجع مسؤوليتك:
تذكر أن التكريم الإلهي مسؤولية، وأنك ستسأل عن كل نعمة أنعمها الله عليك.

اخش الله واطعه:
حب الذات الحقيقي يدفعك إلى خوف الله وطاعته، والعمل الصالح لآخرتك.

تخلص من الغرور:
كلما شعرت بالغرور، تذكر أنك خُلقت من تراب، وأنك ستعود إلى تراب، وأنك ستُبعثر من قبرك لتلقى ما قدمت وأخرت.

رسالة الختام: الآيات كمنهج حياة

إن هاتين الآيتين تشكلان مع الآية السابقة وحدة متكاملة تضع الإنسان في مواجهة حقيقة وجوده:

تذكر أنك مخلوق:
أصل وجودك من العدم، فكيف تغتر بنفسك؟ كل ما عندك من الله، فكيف تعصيه؟

تذكر أنك مسوى:
الله جعلك في أحسن تقويم، وأعطاك صورة جميلة. هذه الصورة ليست منك، بل هي من خالقك. فكيف تستخدم هذه الصورة في معصيته؟

تذكر أنك معدل:
الله أتقن خلقك، وجعل كل عضو من أعضائك في موضعه، وكل وظيفة تؤدي غرضها. هذا الإتقان يدل على حكمة الخالق، ويدعوك إلى التفكر في عظمته.

تذكر أنك مركب:
الله ركبك في الصورة التي شاءها، وجعلك متميزاً عن سائر المخلوقات. هذا التكريم يستدعي الشكر و الطاعة.

يا طالب المعرفة، ويا ساعياً إلى الكمال:

لا تغتر بجمالك، ولا تغتر بقوتك، ولا تغتر بعلمك، ولا تغتر بمالك، ولا تغتر بمنصبك. كل هذا من الله، وهو نعمة تستوجب الشكر، وليس غروراً يستوجب العقاب.

تذكر دائماً أن الله هو الذي خلقك، فسواك، فعدلك، في أي صورة ما شاء ركبك. هذا التذكير هو الطريق إلى التخلص من الغرور، والعودة إلى الله، وتحقيق الغاية من وجودك.

نسأل الله أن يرزقنا التواضع، وأن يخلصنا من الغرور، وأن يعيننا على شكره وذكره وحسن عبادته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.
القسم الثالث
المبحث الأول

تفسير الآية التاسعة من سورة الانفطار

}كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ{

المقدمة: كشف حقيقة الجذور العميقة للغرور

بعد أن وجه الله سؤاله التوبيخي للإنسان: "مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ"، ثم ذكره بنعمه العظيمة في خلقه وتسويته وتعديله وتركيبه في أحسن صورة، تأتي هذه الآية لتكشف عن الجذر الحقيقي لكل هذا الغرور والجحود والانحراف.

إنها لحظة كشف الحقيقة، لحظة تشخيص الداء بعد عرض الأعراض. فليس الغرور هو المشكلة في حد ذاته، بل هو نتيجة لمشكلة أعمق: التكذيب بالدين، والتكذيب باليوم الآخر، والتكذيب بالحساب و الجزاء.

"كلّا" هي أداة ردع وزجر، تقطع كل تبريرات الإنسان، وتبطل كل أعذاره .و"بَلْ" هي أداة انتقال من تبرير إلى حقيقة، من ظاهر إلى باطن، من أعراض إلى جذور .إنها تقول: ليس الأمر كما تظنون، وليس العذر كما تزعمون، بل الحقيقة أنكم تكذبون بالدين.

فالإنسان المغتر لا يغتر لأنه غافل فقط، ولا لأنه نسي النعم فقط، بل لأنه يكذب باليوم الآخر، ويكذب بالحساب والجزاء. هو لا يرى مراقبة الله له، ولا يخاف من عقابه، ولا يرجو ثوابه، لأنه لا يؤمن بهذا الدين الذي يحمل كل هذه الحقائق.

أولا ً: التحليل اللغوي والمفهومي العميق

"كلّا" : حرف ردع وزجر، يفيد القطع والإبطال .وهي تستخدم في القرآن للرد على ما سبقها، وتقرير حقيقة جديدة .وهنا ترد على ما قد يظنه الإنسان من تبريرات لغروره، وكأن الله يقول: "ليس الأمر كما تزعمون، ولا العذر كما تظنون".

"بَلْ" : حرف إضراب وانتقال، تفيد الانتقال من كلام إلى كلام آخر، ومن حقيقة إلى حقيقة أعمق . وهي هنا تنقلنا من الحديث عن الغرور إلى الحديث عن السبب الحقيقي له: التكذيب بالدين.

"تُكَذِّبُونَ" : فعل مضارع يدل على الاستمرار والتجدد، وهو بصيغة الجمع، مما يشير إلى أن هذه الصفة ليست فردية، بل هي صفة جماعية للكثير من الناس .والتكذيب هو إنكار الشيء واعتباره غير حقيقي ، وهو أشد من الكفر، لأنه يتضمن رفضاً للحق بعد معرفته.

"بِالدِّينِ" : الدين في اللغة يعني الجزاء والحساب والطاعة والانقياد .والمعنى هنا: تكذبون بالجزاء و الحساب، وتكذبون بالبعث، وتكذبون بالثواب والعقاب .وأنتم تكذبون بكل ما جاءت به الرسل من عند الله.

المعنى الإجمالي: ليس الأمر كما تظنون أيها البشر، فغروركم ليس بسبب نسيان النعم فقط، بل لأنكم تكذبون بالجزاء والحساب، وتكذبون بأن الله سيجازيكم على أعمالكم. ولو آمنتم باليوم الآخر، لما تجرأتم على المعاصي، ولما استغرقتم في الغرور.

ثانياً: لماذا التكذيب بالدين هو جذر الغرور؟

هذه الآية تكشف عن علاقة سببية عميقة بين التكذيب بالدين والغرور، وتفصيل هذه العلاقة:

التكذيب بالدين = فقدان الرقابة الذاتية:
عندما يكذب الإنسان بالدين، فإنه يفقد الإحساس بأن الله يراقبه، وأن هناك يوماً سيسأل فيه عن كل صغيرة وكبيرة. هذا الفقدان للرقابة الذاتية يفتح الباب أمام الغرور والطغيان. فالإنسان الذي لا يخاف من عقاب، ولا يرجو ثواب، يصبح حراً في فعل ما يشاء، وهذه الحرية المطلقة هي أرض خصبة للغرور.

التكذيب بالدين = إلغاء المسؤولية:
الدين يحمل في جوهره فكرة المسؤولية. الإنسان مسؤول عن نفسه، وعن أهله، وعن جاره، وعن كل من حوله. لكن عندما يكذب الإنسان بالدين، فإنه يلغي هذه المسؤولية، ويظن أنه حر طليق يفعل ما يشاء دون حساب. وهذا الإلغاء للمسؤولية هو جوهر الغرور.

التكذيب بالدين = إنكار العدالة الإلهية:
الدين يؤسس لمبدأ العدالة المطلقة: كل عمل سيجزى، كل ظلم سينتقم منه، كل خير سيكافأ عليه. عندما يكذب الإنسان بهذه العدالة، فإنه يظن أن الظلم يمكن أن يمر دون عقاب، وأن الطغيان يمكن أن يستمر دون حساب. هذا الظن هو جوهر الغرور والطغيان.

التكذيب بالدين = تفريغ الحياة من معناها:
الدين يمنح الحياة معنى وغاية. الإنسان يعيش ليعبد الله، ويستعد ليوم الجزاء. عندما يكذب الإنسان بهذا المعنى، تصبح حياته فارغة من الهدف، فيعيش ليأكل ويشرب ويمرح، وهذا هو جوهر الغرور و العبثية.

التكذيب بالدين = فتح الباب للشهوات:
عندما يكذب الإنسان بالدين، فإنه لا يجد رادعاً يمنعه من اتباع شهواته. هو لا يخاف من عقاب، ولا يرجو ثواب، فينطلق في ملذاته دون حدود. وهذا هو جوهر الغرور والطغيان الذي يفسد الإنسان و المجتمع.

التكذيب بالدين = فقدان الرجاء:
الإنسان المؤمن يعيش بالأمل، يرجو رحمة الله ويخاف عقابه. أما المكذب بالدين، فلا أمل له ولا خوف، فيعيش في يأس أو في غرور كاذب. وهذا هو جوهر الضياع.

الخلاصة: التكذيب بالدين هو الجذر الذي ينبت منه كل فساد، وكل غرور، وكل جحود، وكل كبر. وهو السبب الذي يجعل الإنسان لا ينتفع بالآيات، ولا يتذكر النعم، ولا يخشى العقاب.

ثالثاً: حقائق الأمور التي تدفع الإنسان إلى الجحود والغرور

تكشف الآية عن مجموعة من الحقائق المتشابكة التي تشكل الأزمة الإنسانية:

الحقيقة الأولى: التكذيب بالجزاء:
الإنسان يكذب بأن هناك يوماً يجازى فيه على أعماله. يظن أن الموت هو النهاية، وأنه لن يسأل عن شيء. هذا التكذيب هو الذي يجعله ينطلق في المعاصي دون خوف.

الحقيقة الثانية: إلغاء فكرة المسؤولية:
عندما يكذب الإنسان بالدين، فإنه يلغي فكرة أنه مسؤول عن أفعاله. يظن نفسه حراً طليقاً، لا يحدّه حد، ولا يوجّهه دين. وهذا الإلغاء هو جوهر الجحود والغرور.

الحقيقة الثالثة: الاعتماد على الأسباب المادية:
الإنسان يغتر بالأسباب المادية التي يملكها، ويظن أنها هي التي ستنفعه، وينسى أن كل شيء بيد الله. هذا الاعتماد على الأسباب هو نوع من الشرك الخفي، وهو من مظاهر التكذيب بالدين.

الحقيقة الرابعة: سوء التقدير لحقيقة النعم:
الإنسان يرى النعم التي عنده، ويظن أنها من نفسه، وينسى أنها من الله. هذا سوء التقدير هو من أشد مظاهر الجحود، وهو نتيجة مباشرة للتكذيب بالدين.

الحقيقة الخامسة: فقدان الخوف من عاقبة المعصية:
الإنسان الذي يكذب بالدين لا يخاف من عاقبة معصيته، لأنه لا يصدق أن هناك عقاباً. هذا الفقدان للخوف يجعله يجرؤ على المعاصي دون تردد.

الحقيقة السادسة: الاستهانة بالذنوب:
التكذيب بالدين يجعل الإنسان يستهين بالذنوب، ويصغرها في عينه. يظن أن الذنب الصغير لا يؤثر،

أو أنه سيُغفر دون توبة. وهذا الاستهانة هي بداية الطريق إلى الهلاك.

الحقيقة السابعة: الانشغال بالدنيا عن الآخرة:
الإنسان المكذب بالدين ينشغل بالدنيا، ويظن أنها هي كل شيء، وينسى الآخرة. هذا الانشغال يجعله يغتر بزخرف الدنيا، وينسى حقيقة وجوده.

الحقيقة الثامنة: اتباع الهوى والشهوات:
التكذيب بالدين يفتح الباب أمام اتباع الهوى والشهوات، لأن الإنسان لا يجد رادعاً يمنعه منها. هذا الا تباع للهوى هو جوهر الغرور والطغيان.

الحقيقة التاسعة: الكبر والاستعلاء على الآخرين:
عندما يكذب الإنسان بالدين، فإنه لا يرى قيمة للآخرين، ويتكبر عليهم ويستعلي عليهم. هذا الكبر هو نتيجة طبيعية للتكذيب بالدين.

الحقيقة العاشرة: نسيان الموت والقبر والبعث:
الإنسان المكذب بالدين ينسى الموت والقبر والبعث، ويعيش كأنه خالد لا يموت. هذا النسيان هو من أعظم أسباب الغرور والجحود.

رابعاً: دلالة أسلوب التصعيد في الحوار (الردع والزجر)

تستخدم الآية أسلوباً حوارياً فريداً يعتمد على التصعيد في الردع والزجر، وهذا الأسلوب يحمل دلالات تربوية عميقة:

المرحلة الأولى: "كلّا" - القطع والإبطال:
"كلّا" هي أداة ردع وزجر، تقطع كل تبريرات الإنسان وكل أعذاره. إنها تقول: لا تقل أنك غافل، ولا تقل أنك نسيت، ولا تقل أنك لم تعلم. كل هذه الأعذار باطلة، لأنك كنت تعلم ولكنك اخترت أن تكذب.

المرحلة الثانية: "بَلْ" - الانتقال إلى الجوهر:
"بَلْ" هي أداة إضراب وانتقال، تنقلنا من ظاهر الأمر إلى باطنه، من الأعراض إلى الجذور. إنها تقول: ليس الأمر كما تظن، بل الحقيقة أعمق من ذلك.

المرحلة الثالثة: "تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ" - كشف الجذر:
هذا هو جوهر الرسالة: التكذيب بالدين. إنها لحظة كشف الحقيقة، لحظة تشخيص الداء بعد عرض الأ عراض. وهذا التصعيد في الخطاب يخلق هزة نفسية لدى المخاطب، تجعله يواجه حقيقة وضعه.

الدلالة التربوية الأولى: التدرج في المواجهة:
الحوار الإلهي يبدأ بالتذكير بالنعم (الآيات 7-8)، ثم ينتقل إلى السؤال التوبيخي (الآية 6)، ثم يأتي ب الردع والزجر (الآية 9). هذا التدرج يسمح للنفس باستيعاب الرسالة، ويجعل المواجهة أكثر تأثيراً.

الدلالة التربوية الثانية: المواجهة بالحقيقة:
التربية الناجحة لا تخفي الحقيقة، بل تواجه بها. الله يكاشف الإنسان بحقيقة وضعه، ويصارحه بجذور مشكلته. هذه المصارحة هي أساس التغيير الحقيقي.

الدلالة التربوية الثالثة: ربط الأعراض بالجذور:
التربية الناجحة لا تتعامل مع الأعراض فقط، بل تتعامل مع الجذور. الله لا يكتفي بتوبيخ الإنسان على غروره، بل يكشف له أن جذر هذا الغرور هو التكذيب بالدين.

الدلالة التربوية الرابعة: الإيقاظ بالزجر:
في بعض الأحيان، تكون المواجهة المباشرة والزجر هي أفضل وسيلة لإيقاظ الغافل. "كلّا" هي صرخة إيقاظ، تخرج الإنسان من غفلته وتضعه أمام الحقيقة.

خامساً: العلاقة بين التكذيب بالدين وبين سائر الانحرافات

تؤسس الآية لعلاقة سببية بين التكذيب بالدين وبين سائر الانحرافات الإنسانية:

التكذيب بالدين ← الغرور:
من يكذب بالدين لا يرى نفسه مسؤولا ً، فيغتر بنفسه ويظن أنه فوق المحاسبة. هذا الغرور هو أول ثمرات التكذيب.

التكذيب بالدين ← الجحود:
من يكذب بالدين لا يرى النعم على حقيقتها، فيجحد فضل ربه وينسب النعم لنفسه. هذا الجحود هو ثمرة أخرى للتكذيب.

التكذيب بالدين ← الكبر:
من يكذب بالدين لا يرى قيمة الآخرين، لأنه لا يرى قيمة الإنسان إلا فيما يملك. فيتكبر عليهم ويستعلي عليهم، وهذا الكبر هو نتيجة طبيعية للتكذيب.

التكذيب بالدين ← الظلم:
من يكذب بالدين لا يخاف من عقاب، فيظلم الناس ويأخذ حقوقهم دون رادع. هذا الظلم هو ثمرة خطيرة للتكذيب.

التكذيب بالدين ← الفساد في الأرض:
من يكذب بالدين لا يرى غاية لوجوده، فيفسد في الأرض وينشر الشر. هذا الفساد هو النهاية الطبيعية للتكذيب.

التكذيب بالدين ← خسارة الآخرة:
من يكذب بالدين يخسر الآخرة بأكملها، لأنه لم يستعد لها، ولم يعمل لها. هذه هي الخسارة الكبرى.

سادساً: الإيمان باليوم الآخر كرادع عن المعاصي

تؤكد الآية على أن الإيمان باليوم الآخر هو الرادع الأساسي عن المعاصي:

الإيمان باليوم الآخر = الإيمان بالمراقبة:
المؤمن باليوم الآخر يعلم أن الله يراقبه في كل لحظة، وأن كل عمل مسجل، وأنه سيُعرض عليه يوم القيامة. هذا الإيمان يخلق رقابة ذاتية قوية تمنع من المعاصي.

الإيمان باليوم الآخر = الإيمان بالعدالة:
المؤمن باليوم الآخر يعلم أن الله عادل، وأن كل ظلم سينتقم له منه، وكل حق سيُعاد إليه. هذا الإ يمان يمنع من الظلم والتعدي.

الإيمان باليوم الآخر = الإيمان بالجزاء:
المؤمن باليوم الآخر يعلم أن كل عمل سيجزى، وأن الله لن يضيع أجر من أحسن عملا ً. هذا الإيمان يدفع إلى العمل الصالح ويدفع عن المعاصي.

الإيمان باليوم الآخر = خوف ورجاء:
المؤمن باليوم الآخر يخاف من عقاب الله ويرجو ثوابه، وهذا الخوف والرجاء يمنعانه من المعاصي ويدفعانه إلى الطاعة.

الإيمان باليوم الآخر = استشعار المسؤولية:
المؤمن باليوم الآخر يشعر بمسؤوليته تجاه نفسه وتجاه الآخرين، وهذا الشعور يمنعه من التفريط في الواجبات.

الإيمان باليوم الآخر = تذكر الموت والبعث:
المؤمن باليوم الآخر يتذكر الموت والقبر والبعث، وهذا التذكر يمنعه من الغفلة ويدفعه إلى العمل

الصالح.

الشك في اليوم الآخر هو سبب المعاصي:
عندما يشك الإنسان في اليوم الآخر، أو يضعف إيمانه به، فإنه يفقد الرادع الذي يمنعه من المعاصي. الشك في وقوع العذاب يفتح الباب أمام التجرؤ على المحرمات.

الإيمان القوي باليوم الآخر يمنع المعاصي:
كلما قوي إيمان الإنسان باليوم الآخر، كلما ابتعد عن المعاصي، وكلما حرص على العمل الصالح. فالإ يمان باليوم الآخر هو الضمانة الأكبر لاستقامة الإنسان.

سابعاً: القضايا الكبرى والمفاهيم المستفادة من الآية

القضية الأولى: الغرور ليس مجرد نسيان للنعم، بل هو نتيجة للتكذيب بالدين.
الآية تحطم الفكرة السطحية عن الغرور، وتكشف عن جذره العميق: التكذيب بالدين. فليس الغرور هو المشكلة، بل المشكلة الأكبر هي إنكار الحساب والجزاء.

القضية الثانية: التكذيب بالدين هو جذر كل انحراف إنساني.
التكذيب بالدين ليس مجرد خطأ فكري، بل هو أصل كل فساد في الأرض، وكل ظلم، وكل جحود، وكل غرور، وكل كبر.

القضية الثالثة: الإيمان باليوم الآخر هو الضمانة الأكبر لاستقامة الإنسان.
الإيمان باليوم الآخر هو الرادع الأكبر عن المعاصي، وهو المحرك الأكبر للعمل الصالح. وهو الضمانة الأ كبر لاستقامة الإنسان على منهج الله.

القضية الرابعة: التربية الإيمانية يجب أن تركز على تثبيت الإيمان باليوم الآخر.
أي تربية لا تؤسس للإيمان باليوم الآخر، تكون تربية ناقصة. فالإيمان باليوم الآخر هو أساس كل خلق ، وأساس كل استقامة.

القضية الخامسة: المواجهة بالحقيقة هي أسلوب التربية الربانية.
الله لا يخفي عن الإنسان حقيقة وضعه، بل يكاشفه بها، ويصارحه بجذور مشكلته. هذه المواجهة هي أساس التغيير.

ثامناً: العلاقة بين الآية ومقدمات السورة

هذه الآية تمثل تتويجاً لمقدمات السورة، وتكشف عن العلاقة بين مشاهد القيامة والتكذيب بالدين:

العلاقة الأولى: مشاهد القيامة حجة على المكذبين:
الآيات الأولى من السورة (السماء تنفطر، الكواكب تنتثر، البحار تتفجر، القبور تبعثر) هي مشاهد من يوم القيامة. هذه المشاهد هي حجة على الذين يكذبون بالدين، فهم يرون وصف هذا اليوم في القرآن، ولكنهم يكذبون به.

العلاقة الثانية: "علمت نفس" تذكير بالحساب:
الآية الخامسة (عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ) هي تذكير بيوم الحساب. هذه التذكير هو دعوة للإ يمان بالدين، وليس تكذيباً به.

العلاقة الثالثة: "ما غرك بربك الكريم" تذكير بالمسؤولية:
الآية السادسة هي تذكير بأن الله هو الكريم الذي أنعم على الإنسان، وأن له حقاً على الإنسان أن يشكره. هذا التذكير هو دعوة للإيمان بالدين، وليس تكذيباً به.

العلاقة الرابعة: "خلقك فسواك فعدلك" تذكير بالنعمة:
الآيات 7-8 هي تذكير بنعم الله على الإنسان، وأن هذه النعم تستدعي الشكر والطاعة. هذا التذكير هو دعوة للإيمان بالدين، وليس تكذيباً به.

العلاقة الخامسة: "كلا بل تكذبون بالدين" كشف لجذر المشكلة:
هذه الآية تكشف عن جذر المشكلة التي حالت دون انتفاع الإنسان بكل هذه المقدمات. الإنسان لم ينتفع بمشاهد القيامة، ولم ينتفع بتذكير العلم، ولم ينتفع بتذكير النعم، لأنه يكذب بالدين.

تاسعاً: أساليب معالجة أزمة التكذيب بالدين

الآية تشخص الداء، وتدعو إلى العلاج. وكيفية علاج التكذيب بالدين:

العلاج الأول: إعادة تأسيس الإيمان باليوم الآخر:
يجب أن يكون الإيمان باليوم حاضراً دائماً في وجدان الإنسان. من خلال تذكره، وتلاوة آياته، والتفكر في أهواله.

العلاج الثاني: التفكر في آيات الله الكونية والشرعية:
آيات الله في الكون وفي الشرع كلها تدل على صدق الدين، وتؤكد حقيقة الجزاء والحساب.

العلاج الثالث: مراجعة حقيقة الموت والقبر:
تذكر الموت والقبر يذكر الإنسان بحقيقة الحياة، ويدفعه للإيمان بالآخرة.

العلاج الرابع: مجالسة الصالحين والتذكير بالآخرة:
مجالسة الصالحين تذكر الإنسان بالله واليوم الآخر، وتعينه على الثبات على الحق.

العلاج الخامس: الدعاء:
الدعاء هو العلاج الأكبر، فالعباد ضعفاء، والله هو المعين. ادع الله أن يثبت قلبك على الإيمان.

عاشراً: كيف نستشعر هذه الآية في حياتنا؟

عند الشعور بالغرور:
إذا شعرت بالغرور، تذكر أن جذر هذا الشعور هو ضعف إيمانك باليوم الآخر. قوّ إيمانك بالآخرة، وسيزول الغرور.

عند ارتكاب المعصية:
إذا هممت بمعصية، تذكر أنك تكذب بالدين إذا فعلتها. المؤمن باليوم الآخر لا يقدم على معصية. استحضر الإيمان بالآخرة، وسيهون عليك ترك المعصية.

عند نسيان النعم:
إذا نسيت النعم، تذكر أن التكذيب بالدين يجعلك تنسب النعم لنفسك. قوّ إيمانك بالله، واشكره على نعمه.

عند الظلم:
إذا أردت ظلم أحد، تذكر أن التكذيب بالدين هو الذي يجعلك تجرؤ على الظلم. استحضر يوم القيامة، يوم العدل الإلهي، وستكف عن الظلم.

عند الفتور الإيماني:
إذا شعرت بفتور في إيمانك، تذكر أن هذا الفتور قد يكون بداية للتكذيب بالدين. جدد إيمانك، وأعد تذكير نفسك بحقائق الإيمان.

رسالة الختام: الآية كمنهج حياة

"كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ"

هذه الآية هي صرخة إيقاظ لكل إنسان غافل، وهي كشف عن جذر المشكلة التي يعاني منها البشر:

لا تبرر غرورك:
لا تقل: "أنا مشغول بالدنيا"، أو "أنا نسيت"، أو "أنا ضعيف". كل هذه الأعذار باطلة. الجذر الحقيقي هو أنك تكذب بالدين.

اعترف بحقيقة وضك:
اعترف بأنك بحاجة إلى إعادة بناء إيمانك باليوم الآخر. اعترف بأن ضعف إيمانك هو سبب كل انحرافك.

عد إلى الإيمان باليوم الآخر:
الإيمان باليوم الآخر هو مفتاح الخلاص. عندما تؤمن بأن الله سيسألك عن كل صغيرة وكبيرة، ستتغير حياتك كلها.

استعد للقاء الله:
يوم القيامة حق، والحساب حق، والجزاء حق. استعد لهذا اليوم قبل أن يأتي، واجعل إيمانك بالدين هو دافعك للعمل الصالح.

يا طالب المعرفة، ويا ساعياً إلى الكمال:

تذكر دائماً أن الغرور ليس مجرد خطأ أخلاقي، بل هو نتيجة لمرض أعمق: التكذيب بالدين. علاج هذا المرض هو تجديد الإيمان باليوم الآخر، واستحضار مشاهد القيامة في قلبك ووجدانك.

من آمن باليوم الآخر، خاف من عقاب الله، وارتجف قلبه من ذنوبه. ومن ضعف إيمانه باليوم الآخر، تجرأ على المعاصي، واستغرق في الغرور.

اجعل إيمانك باليوم الآخر هو الحارس الأمين على قلبك ولسانك وجوارحك. واجعل استعدادك لهذا اليوم هو شغلك الشاغل، وعملك الدائم، وهدفك الأسمى.
ثانيا
تفسير الآيات 10-12 من سورة الانفطار

{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}

المقدمة: من التكذيب بالدين إلى حقيقة المراقبة المحيطة

بعد أن كشفت الآية السابقة عن الجذر الحقيقي للغرور والجحود، وهو التكذيب بالدين واليوم الآخر، تأتي هذه الآيات الثلاث لتُحطم هذا التكذيب، وتُقيم الحجة البالغة على الإنسان، وتُريَه حقيقةً لا مفرّ منها: أن الله قد أقام عليه رقابة دقيقة، وسخّر له ملائكةً كراماً كاتبين، يسجلون عليه كلّ صغيرة وكبيرة.

إنها الانتقال من الإنكار النظري إلى المواجهة العملية. فإذا كان الإنسان يكذّب بالدين، فليعلم أنّ هناك من يراقبه، ويسجل أعماله، ويشهد عليها. وإذا كان يغتر بنفسه، فليعلم أنّ هناك من هو أكرم منه، وأقرب إليه من نفسه.

وهذه الآيات تشكل مع ما سبقها وحدة متكاملة: الغرور ← سببه التكذيب بالدين ← التكذيب بالدين يُبطله العلمُ بالمراقبة والحفظ والكتابة. فكيف يُكذّب بالدين من يعلم أنّ هناك من يسجل كلّ حركاته وسكناته؟ وكيف يغترُّ بنفسه من يعلم أنّ هناك من يراقبه في كلّ لحظة؟

أولا ً: التحليل اللغوي والمفهومي العميق

"وَإِنَّ" : حرف تأكيد وتوكيد، يفيد أنّ الخبر الذي سيأتي هو خبر يقيني لا شكّ فيه. وهذه الصيغة

تضفي على الكلام قوة وتأثيراً، وتزيل أيّ شكّ أو تردّد حول حقيقة المراقبة والحفظ.

"عَلَيْكُمْ" : هذه الكلمة تحمل معنى الاستعلاء والإحاطة. فالحافظون هم فوق الإنسان ومحيطون به، وهذا يعني أنّ الإنسان ليس بمنأى عنهم، بل هو تحت رقابتهم الدائمة.

"لَحَافِظِينَ" : الحفظ هو الحماية والمراقبة والضبط. والحافظون هم الملائكة الموكلون بحفظ أعمال البشر، ومراقبة أقوالهم وأفعالهم. والحفظ هنا يشمل حفظ الأعمال من الضياع، وحفظ الإنسان من الشرور، وحفظ السجلّ الذي يُدوّن فيه كلّ شيء.

"كِرَامًا" : الكرام هم ذوو الكرامة والمكانة العالية عند الله. هذا الوصف له دلالة بالغة الأهمية: الملائكة الذين يسجلون أعمالك ليسوا مجرد موظفين عاديين، بل هم كرام على الله، ومكرمون في أنفسهم، وهذا يزيد من هيبة المراقبة ومكانتها.

"كَاتِبِينَ" : الكاتب هو الذي يكتب ويُدوّن. والكتابة هنا تعني التسجيل الدقيق لكلّ عمل، صغيره وكبيره، دقيقه وجليله. وهذا التسجيل هو الذي سيكون شاهداً على الإنسان يوم القيامة.

"يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ" : العلم هنا هو العلم المشاهد المحيط، الذي لا يغفل عن شيء. والملائكة يعلمون ما يفعل الإنسان، ليس فقط الأفعال الظاهرة، بل كلّ شيء، حتى ما يُسرّه الإنسان في نفسه، وما يخطو به قدمه، وما تهمس به نفسه.

المعنى الإجمالي: إنّ عليكم أيها البشر ملائكةً يحفظون أعمالكم ويراقبونها، وهؤلاء الملائكة هم كرام على الله، وكرمهم يزيد من هيبتهم، وهم يكتبون كلّ أعمالكم بدقة، ويعلمون كلّ ما تفعلونه، فلا يخفى عليهم شيء من أقوالكم وأفعالكم ونياتكم. وهذا الحفظ والكتابة والمراقبة هو إثباتٌ للدين، وإبطالٌ للتكذيب به.

ثانياً: عنصر العلم والقدرة على الجزاء وارتباطهما بالتحذير

تقرر هذه الآيات حقيقةً عظيمة: العلم بالقدرة على الجزاء، والتحذيرُ به، مرتبطان ارتباطاً وثيقاً. وهذا له دلالات عميقة:

العلم شرط للجزاء العادل:
لا يمكن أن يكون هناك جزاء عادل إلا إذا كان هناك علم تام بكلّ الأعمال. والله سبحانه وتعالى هو العالم بكلّ شيء، وقد جعل له شهوداً من الملائكة يسجلون كلّ عمل، حتى لا يضيع حقٌ لأحد، ولا يُنسى عملٌ لأحد. فهذا العلم المطلق هو أساس العدالة المطلقة.

القدرة شرط لتحقيق الجزاء:
لا يمكن أن يكون هناك جزاء حقيقي إلا إذا كان هناك قدرة على تحقيقه. والله سبحانه وتعالى هو القادر على كلّ شيء، وهو القادر على أن يُحيي الموتى، ويجمعهم، ويُجزيهم بأعمالهم. وهذه القدرة هي التي تجعل التحذير بالجزاء تحذيراً حقيقياً، وليس مجرد تهديد فارغ.

ارتباط العلم والقدرة بالتحذير:
عندما يُحذّر الله الإنسان من يوم القيامة، فإنه يُقرن هذا التحذير بذكرِ علمه المحيط وقدرته المطلقة. وهذا الارتباط هو الذي يجعل التحذير مؤثراً وفعالاً ً. فالإنسان عندما يعلم أنّ الله يعلم كلّ شيء، ويقدر على كلّ شيء، فإنه يخاف من هذا اليوم حقّ الخوف.

العلم بالحساب يوجب الحياء:
عندما يعلم الإنسان أنّ هناك ملائكةً يسجلون أعماله، وأنّ الله يعلم كلّ شيء، فإن هذا العلم يُولِد في نفسه حياءً من المخالفة. فهو يستحي أن يفعل شيئاً وهو يعلم أنّ الله يراه، وأنّ الملائكة تسجله.

الملائكة الكرام الكاتبون ودورهم في إثبات الدين:
ذكر الملائكة الكرام الكاتبين هو تأكيد على أنّ الدين حقّ، وأنّ الحساب حقّ، وأنّ الجزاء حقّ. فهؤلاء الملائكة ليسوا مجرد رمز، بل هم حقيقة واقعة، يشهدون على الإنسان في كلّ لحظة، وسيكونون شهادة عليه يوم القيامة.

العلاقة بمقدمة السورة (علمت نفس ما قدمت وأخرت):
لقد سبق أن أعلنت الآية الخامسة: "عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ". وهذا العلم ليس علماً مجرداً، بل هو علمٌ مبنىٌ على حفظ وكتابة الملائكة. فالملائكة كتبوا، والنفس ستعلم يوم القيامة ما كُتب عليها. وهكذا تتكامل الصورة: حفظ في الدنيا، وعلم في الآخرة.

التحذير بالجزاء من مقتضيات العدل الإلهي:
الله عادل، والعدل يقتضي أن يحذّرَ الناسَ قبل أن يُعاقبهم. فالتحذير بالجزاء هو من تمام العدل الإلهي، حتى لا يكون للناس حجةٌ على الله يوم القيامة.

ثالثاً: الحياء من المخالفة كقيمة تربوية غرسها الآيات

تغرس هذه الآيات في النفوس قيمة عظيمة هي الحياء من المخالفة، وذلك من خلال عدة جوانب:

الحياء من الله:
المؤمن يستحي من الله أن يراه على معصية. وهذا الحياء ليس خوفاً فقط، بل هو شعورٌ بالخجل من مخالفة من أنعم عليك بكلّ نعمة، وهو الحيُّ القيوم الذي لا يغفل عنك.

الحياء من الملائكة الكرام:
الملائكة الذين يسجلون أعمالك ليسوا مجرد كائنات غائبة، بل هم "كِرَامًا" عند الله. وهذا الكرم يزيد من هيبتهم، ويجعل الإنسان يستحي منهم، كما يستحي من الإنسان الكريم الذي يحترمه. فكيف لا تستحي من ملكٍ كريمٍ عند الله يسجل كلّ ما تفعل؟

الحياء من النفس:
عندما يعلم الإنسان أنّ كلّ أعماله مسجلة، فإنه يستحي من نفسه أن يضيع مستقبله، وأن يُعرّض نفسه للعقاب. هذا الحياء يدفعه إلى العمل الصالح، ويمنعه من السيئات.

الحياء المجتمعي:
لو شعر كلُّ إنسان بهذا الحياء، لتحول المجتمع إلى مجتمعٍ فاضلٍ تعمّه الأخلاق والقيم. فالحياء من المخالفة هو الضمانة الأكبر لاستقامة المجتمع.

الحياء في العلاقة مع الله:
الحياء من الله هو أعلى درجات الحياء. فالمؤمن يستحي من الله أن يطلب منه شيئاً وهو مقصرٌ في طاعته، ويستحي أن يدعوه وهو يعصيه، ويستحي أن يواجهه يوم القيامة بوجهٍ أسود من الذنوب.

كيف يتحقق الحياء:

· بتذكر مراقبة الله في كلّ لحظة.
· باستشعار عظمة الملائكة الذين يسجلون الأعمال.
· بتخيّل يوم القيامة، يوم العرض على الله.
· بالاستغفار والتوبة الدائمة.
· بمجالسة الصالحين الذين يذكِرون بالله.

رابعاً: الشعور بالمسؤولية كقيمة محورية

تُوجّه هذه الآيات الإنسانَ نحو الشعور بالمسؤولية، وذلك من خلال تصوير مشاهد يوم القيامة والإشعار بأنّ الإنسان مخلوقٌ لغايةٍ وسوف يُحاسب:

المسؤولية والاستخلاف:
الإنسان هو خليفة الله في الأرض، وقد أُودعت عنده أمانةٌ عظيمة. وهذه المسؤولية تتطلب منه أن يعيش وفقاً لمنهج الله، وأن يصلح في الأرض، وأن يعمرها بالخير والعدل. والشعور بالمسؤولية هو الذي يدفع الإنسان إلى أداء هذه المهمة على أكمل وجه.

المسؤولية والغاية الوجودية:
الإنسان لم يُخلق عبثاً، بل خُلق لغايةٍ عظيمة، وهي عبادة الله والقيام بواجب الخلافة. والشعور بـ المسؤولية هو الذي يذكِر الإنسان بهذه الغاية، ويجعله يسعى لتحقيقها.

المسؤولية والرقابة الذاتية:
عندما يشعر الإنسان بالمسؤولية، فإنه يُصبح رقيباً على نفسه. فهو لا يحتاج إلى من يراقبه من الخارج، بل هو يراقب نفسه بنفسه. وهذه الرقابة الذاتية هي أساس التزكية والتهذيب.

المسؤولية والأمانة:
الأمانة التي حملها الإنسان هي مسؤوليةٌ عظيمة. وهي تتضمن: الأمانة في المال، والأمانة في الجاه، و الأمانة في العلم، والأمانة في الكلمة، والأمانة في كلّ شيء.

المسؤولية والخلافة في الأرض:
الخلافة في الأرض تعني إصلاحها وعمارتها، وإقامة العدل فيها، ونشر الخير فيها. والشعور بالمسؤولية هو الذي يدفع الإنسان إلى أداء هذه المهمة، وعدم التفريط فيها.

العلاقة بين المسؤولية وتصوير مشاهد القيامة:
تصوير مشاهد القيامة يُعظِم الشعور بالمسؤولية، لأنه يُذكِر الإنسان بأنه سيقف بين يدي الله، وسيسأل عن كلّ شيء. وهذا التذكير يدفعه إلى استشعار مسؤوليته، والقيام بها على أكمل وجه.

المسؤولية وحمل الأمانة:
حمل الأمانة هو أعظم تكليف إلهي للإنسان. وهو يتطلب وعياً عميقاً بالمسؤولية، وقدرةً على تحمّلها. والإنسان الذي يشعر بمسؤوليته، هو الإنسان الذي يقدر على حمل هذه الأمانة.

خامساً: إدراك الغاية من الوجود ودوره في الشعور بالمسؤولية

إن تصوير زوال الكون في مقدمات السورة، ثم الحديث عن علم النفس بما قدمت وأخرت، يُفهم الإ نسانَ أنه مخلوقٌ لغايةٍ، تماماً كما أنّ الكون مخلوقٌ لغايةٍ:

الكون مخلوق لغاية:
الكون الذي نراه، بكلّ ما فيه من عظمة ونظام، مخلوقٌ لغايةٍ عظيمة: خدمة الإنسان أثناء قيامه بمهمة الخلافة. فالسماء والأرض والكواكب والبحار، كلها مسخرةٌ لخدمة الإنسان، وليكون الإنسان قادراً على أداء رسالته.

الإنسان مخلوق لغاية:
الإنسان لم يُخلق عبثاً، بل خُلق لغايةٍ عظيمة: عبادة الله والقيام بواجب الخلافة في الأرض. وهذه الغاية هي التي تمنح الحياة معنى، وتجعل للإنسان قيمةً حقيقية.

زوال الكون يُذكِر بالغاية:
عندما يرى الإنسان مشاهد زوال الكون، فإنه يدرك أنّ كلّ هذا الكون المادي سيزول، وأنّ ما يبقى هو الغاية التي خُلق من أجلها. وهذا الإدراك يُذكِره بمسؤوليته، ويدفعه للقيام بها.

العلم بما قدمت وأخرت يُذكِر بالحساب:
عندما يعلم الإنسان أنّ كلّ نفس ستعلم ما قدمت وأخرت، فإنه يدرك أنّ حياته ليست عبثاً، وأنّ كلّ عمل سيسأل عنه. وهذا الإدراك يُعظِم الشعور بالمسؤولية.

الغاية من وجود الإنسان هي تحقيق الخلافة:
الخلافة في الأرض هي إصلاحها وعمارتها بالخير والعدل. والإنسان الذي يشعر بمسؤوليته تجاه هذه الخلافة، هو الإنسان الذي يحقق الغاية من وجوده.

الغاية من وجود الكون خدمة الإنسان:
الكون كله مسخّرٌ لخدمة الإنسان، ليكون قادراً على أداء مهمته. وعندما يزول هذا الكون، فإنه يُذكِر ا

لإنسان بأنّ خدمة الكون ليست هي الغاية، بل الغاية هي أداء المهمة التي خُلق من أجلها.

سادساً: الفوضى وضياع الأمانة من أسباب قيام الساعة

تُشير الآيات إلى حقيقة عظيمة: أنّ الفوضى في إدارة الأرض، ورفع العلم، وعجز أهل الحق، وعدم شعور الناس بالمسؤولية، كلها أسبابٌ لقيام الساعة:

إضاعة الأمانة:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا ضُيِّعَتِ الأمانة فانتظر الساعة". قالوا: كيف إضاعتها؟ قال: "إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة". (رواه البخاري). فإضاعة الأمانة، وتولي غير الأكفاء للمناصب، وضياع العدل، كلها أسبابٌ لقيام الساعة.

رفع العلم:
رفع العلم هو من علامات الساعة. فعندما يضيع العلم، ويقلّ العلماء، ويُتّبع الجهل، فإنّ ذلك يُؤذِنُ بقيام الساعة. لأنّ العلم هو الذي يهدي الناس، ويمنعهم من الفوضى والظلم.

عجز أهل الحق عن الإصلاح:
عندما يعجز أهل الحق عن إصلاح الخلل، وتغلق أبواب الإصلاح، وتسدُّ طرق النصح، فإنّ ذلك يُؤذِن بقيام الساعة. لأنّ الله لا يترك الناس في فوضى دون أن يُقيم عليهم الحجة، وإذا قامت عليهم الحجة ولم يصلحوا، جاء العذاب.

عدم شعور الناس بالمسؤولية:
عندما يفقد الناس الشعور بالمسؤولية، ويتحولون إلى مستهلكين لا منتجين، وإلى متفرجين لا مشاركين، فإنّ ذلك يُؤذِن بقيام الساعة. لأنّ الشعور بالمسؤولية هو أساس الاستقامة.

العلاقة بين الفوضى وقيام الساعة:
الفوضى هي نقيض النظام الإلهي. وعندما تنتشر الفوضى في الأرض، ويفقد الناس الشعور بالمسؤولية، وتضيع الأمانات، فإنّ الأرض تصبح غير صالحة للحياة، ويأتي عذاب الله، وتقوم الساعة.

التطبيق العملي:
هذه الحقائق تدعونا إلى استشعار مسؤوليتنا تجاه الأمانة التي بين أيدينا. كلٌ واحدٍ منا مسؤول عن موقعه، وعن عمله، وعن دوره في إصلاح المجتمع. وعندما نقوم بهذه المسؤولية، فإننا نمنع الفوضى، ونؤخِّر قيام الساعة.

سابعاً: الشعور بالمسؤولية ودوره في إصلاح الأرض

إن إدراك الإنسان أنّ له غايةً في الحياة، وأنّ لحياته قيمةً ومعنىً، هو الحافز الأكبر لإصلاح الأرض وبناء الحضارة:

الشعور بالمسؤولية يدفع إلى العمل:
عندما يشعر الإنسان بمسؤوليته، فإنه لا يكتفي بالتنظير، بل ينطلق إلى العمل. فهو يرى في كلّ مشكلةٍ فرصةً للإصلاح، وفي كلّ خللٍ مجالاً للتطوير.

الشعور بالمسؤولية يدفع إلى الإبداع:
الإنسان المسؤول يبحث عن الحلول الإبداعية للمشكلات، ولا يقبل بالتقليد والتكرار. فهو يسعى دائماً إلى تطوير نفسه ومجتمعه.

الشعور بالمسؤولية يدفع إلى العدل:
الإنسان المسؤول لا يظلم، ولا يسمح بالظلم. فهو يعلم أنّ العدل هو أساس الوجود، وأنّ الظلم هو بداية الفساد.

الشعور بالمسؤولية يدفع إلى البناء:

الإنسان المسؤول لا يهدم، بل يبني. فهو يسعى إلى عمارة الأرض، وزرع الخير فيها، وترك أثرٍ طيبٍ بعد رحيله.

الشعور بالمسؤولية يخرج البشر من الأزمات:
الأزمات التي تعصف بالبشرية، سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو أخلاقية، تنبع من فقدان الشعور بالمسؤولية. وعندما يستشعر الناس مسؤوليتهم، فإنهم يخرجون من هذه الأزمات، ويعيدون بناء حياتهم.

الشعور بالمسؤولية يعيد تشكيل الفطرة:
الشعور بالمسؤولية يُصلح الفطرة الإنسانية التي شوّهتها المعاصي والانحرافات. فهو يعيد للإنسان توازنه، ويُخرجه من الظلمات إلى النور.

الشعور بالمسؤولية يُصحي الوعي:
الوعي الحقيقي هو الوعي بالمسؤولية. عندما يستشعر الإنسان مسؤوليته، فإنّ وعيه ينضج، وتتغير نظرته إلى الحياة، وتصبح أفعاله أكثر حكمةً ورزانة.

ثامناً: إيقاظ الوعي الإنساني من خلال تصوير مشاهد الكون

توقظ هذه الآيات الوعيَ الإنساني، وتجعل العقل يستشعر الخطر، من خلال ما ترسمه من مشاهد دمار الكون، ثم تدعوه إلى التفكر في الغاية من وجوده:

تصوير مشاهد الكون يواجه الإنسان بحقيقة زواله:
مشاهد السماء وهي تنفطر، والكواكب وهي تنتثر، والبحار وهي تتفجر، والقبور وهي تبعثر، كلها تواجه الإنسان بحقيقة زوال كلّ شيء. وهذا المواجهة هي التي توقظ وعيه، وتدفعه إلى التفكر.

التفكر في الغاية من الوجود:
بعد أن تُواجه الإنسان مشاهد زوال الكون، تدعوه الآيات إلى التفكر في الغاية من وجوده. فلماذا خُلق ؟ وما هي مهمته؟ وما هو مصيره؟ هذه الأسئلة هي التي تشكل وعيه، وتوجه سلوكه.

التذكير بأنعام الله يخاطب القلب:
بعد التفكر في زوال الكون، تأتي التذكرة بأنعام الله على الإنسان: خلقه، وتسويته، وتعديله، وتركيبه في أحسن صورة. هذه التذكرة تخاطب القلب، وتحرّكه نحو شكر الله وطاعته.

التحذير من الحساب يدفع إلى العمل:
بعد كلّ هذه المقدمات، يأتي التحذير من الحساب، وأنّ الإنسان سيُسأل عن كلّ شيء. وهذا التحذير هو الذي يدفع الإنسان إلى العمل الصالح، والاستعداد ليوم القيامة.

المراقبة والكتابة تؤكدان حقيقة الحساب:
المراقبة والكتابة التي تحدثت عنها الآيات تؤكدان حقيقة الحساب، وتزيلان أيّ شكٍّ أو تردّد. فهما دليلٌ ماديٌ على أنّ الله يُحصي على الإنسان كلّ شيء.

الخاتمة:
هذه الآيات تشكل منظومة متكاملة من الإيقاظ والوعي. تبدأ بمشاهد زوال الكون، وتنتقل إلى التذكير بالنعم، ثم إلى التحذير من الحساب، ثم إلى التأكيد على المراقبة والكتابة. وهذه المنظومة هي التي تشكل وعي الإنسان، وتوجهه نحو الطاعة والاستقامة.

تاسعاً: القضايا الكبرى والمفاهيم والدروس المستفادة

القضية الأولى: المراقبة الإلهية كحقيقة وجودية:
المراقبة الإلهية ليست مجرد فكرة نظرية، بل هي حقيقة وجودية تتجسّد في الملائكة الكرام الكاتبين. وهذه الحقيقة هي التي تشكل وعي الإنسان، وتوجه سلوكه.

القضية الثانية: العلم والقدرة شرطان للجزاء العادل:
لا يمكن أن يكون هناك جزاء عادل إلا إذا كان هناك علم تام بكلّ الأعمال، وقدرة مطلقة على تحقيق الجزاء. وهذان الشرطان متوفران في الله سبحانه وتعالى.

القضية الثالثة: الحياء من المخالفة أساس الاستقامة:
الحياء من الله ومن الملائكة الكرام هو الذي يمنع الإنسان من المعاصي، ويُوجّهه نحو الطاعة. وهذا الحياء هو أساس كلّ فضيلة.

القضية الرابعة: المسؤولية الإنسانية كأمانة عظيمة:
الإنسان مسؤول عن نفسه، وعن أهله، وعن مجتمعه، وعن الأرض كلها. وهذه المسؤولية هي أمانةٌ عظيمة، يجب أن يُؤديها على أكمل وجه.

القضية الخامسة: الغاية من الوجود هي تحقيق الخلافة:
الإنسان خُلق لغايةٍ عظيمة، هي عبادة الله والقيام بواجب الخلافة في الأرض. وتحقبق هذه الغاية هو الذي يمنح الحياة معنىً، ويُحقق للإنسان السعادة في الدنيا والآخرة.

القضية السادسة: الفوضى وضياع الأمانة من أسباب قيام الساعة:
الفوضى في إدارة الأرض، ورفع العلم، وعجز أهل الحق، كلها أسبابٌ لقيام الساعة. واستشعار المسؤولية هو الحلُّ الوحيد لتفادي هذه الفوضى.

القضية السابعة: إيقاظ الوعي الإنساني ضرورة للإصلاح:
الوعي الإنساني لا يُستيقظ إلا من خلال التذكير بحقائق الكون والآخرة. ومشاهد زوال الكون، و التذكير بالنعم، والتحذير من الحساب، كلها أدواتٌ لإيقاظ هذا الوعي.

الدرس الأول: لا تغفل عن مراقبة الله لك:
في كلّ لحظة، الله يراك، والملائكة تسجل أعمالك. فلا تغفل عن هذه الحقيقة، ودعها تُوجّه سلوكك.

الدرس الثاني: استحي من الله ومن ملائكته:
الحياء من الله هو أعلى درجات الإيمان. استحي أن يراك الله على معصية، واستحي من الملائكة الكرام الذين يسجلون أعمالك.

الدرس الثالث: اشعر بمسؤوليتك تجاه نفسك ومجتمعك:
أنت مسؤول عن نفسك، وعن أهلك، وعن مجتمعك. فقم بهذه المسؤولية على أكمل وجه، ولا تفرّط فيها.

الدرس الرابع: تذكر غايتك من الوجود:
لقد خُلقت لتعبد الله، وتُصلح في الأرض. فلا تنسَ هذه الغاية، واجعلها نصب عينيك في كلّ عمل.

الدرس الخامس: استعد ليوم الحساب:
اليوم الآخر حق، والحساب حق، والجزاء حق. استعد لهذا اليوم قبل أن يأتي، واجعل إيمانك بالدين هو دافعك للعمل الصالح.

عاشراً: كيف نستشعر هذه الآيات في حياتنا العملية؟

في كلّ عمل نقوم به:
قبل أن تفعل أيّ عمل، تذكر أنّ الملائكة الكرام يكتبون كلّ ما تفعل. اسأل نفسك: هل هذا العمل يرضي الله؟ هل أنا مستعد أن أراه مسجلا ً في صحيفتي؟

في كلّ كلمة نقولها:
تذكر أنّ الملائكة يكتبون كلّ كلمة تقولها. فاختر كلماتك بعناية، واجعلها كلمات خيرٍ وهداية.

في كلّ خطوة نخطوها:
تذكر أنّ الملائكة يكتبون كلّ خطوة تخطوها. فاجعل خطواتك في طاعة الله، وليس في معصيته.

في لحظات الضعف:
عندما تشعر بالضعف أمام المعصية، تذكر أنّ الله يراك، وأنّ الملائكة يسجلون عليك. استحضر هذه الحقيقة، وستجد قوةً للامتناع عن المعصية.

في لحظات الغفلة:
عندما تشعر بالغفلة عن ذكر الله، تذكر أنّ المراقبة مستمرة، وأنّ الحساب قادم. استيقظ من غفلتك، وعُد إلى ربك.

في التعامل مع الآخرين:
تذكر أنك مسؤول عن كلّ إنسان تتعامل معه، وعن كلّ حقٍّ لك عليه. فكن عادلاً، وكن محسناً، وكن رحيماً.

في العمل والمهنة:
تذكر أنّ عملك هو أمانة، وأنّ الله سيسألك عنه. فأتقن عملك، وأخلص فيه، واجعل النية في قلبك خالصةً لوجه الله.

رسالة الختام: الآيات كمنهج حياة متكامل

إنّ هذه الآيات الثلاث تشكّل معاً منهج حياةٍ متكاملاً، يبدأ بالمراقبة، وينتهي بالجزاء:

تذكرْ أنّ الله يراك:
في كلّ لحظة، في كلّ مكان، الله يراك. هذه الحقيقة هي التي تغيّر كلّ شيء. عندما تستحضر مراقبة الله، تتغير أفعالك، وتتغير كلماتك، وتتغير نظرتك إلى الحياة.

تذكرْ أنّ الملائكة تكتب عليك:
كلّ عملٍ تقوم به، وكلّ كلمةٍ تقولها، وكلّ خطوةٍ تخطوها، كلها مكتوبةٌ في صحيفتك. وهذه الصحيفة ستُعرض عليك يوم القيامة. فماذا تريد أن ترى فيها؟

تذكرْ أنك مسؤول:
أنت مسؤول عن نفسك، وعن أهلك، وعن مجتمعك، وعن الأرض كلها. هذه المسؤولية هي أمانةٌ عظيمة، يجب أن تؤديها على أكمل وجه.

تذكرْ أنّ لك غايةً:
أنت لم تُخلق عبثاً، بل خُلقت لتعبُد الله، وتُصلح في الأرض. هذه الغاية هي التي تمنح حياتك معنىً، وتجعل لك قيمةً حقيقية.

تذكرْ أنّ الحساب قادم:
اليوم الآخر حقٌّ لا شكّ فيه. وسوف تُجزى على كلّ عملٍ عملته. فاستعدّ لهذا اليوم قبل أن يأتي، واجعل إيمانك بالدين هو دافعك للعمل الصالح.

يا طالب المعرفة، ويا ساعياً إلى الكمال:

لا تغفل عن حقيقة المراقبة التي تحيط بك. الله يراك، والملائكة تكتب عليك، وأنت مسؤول عن كلّ شيء. اجعل هذه الحقائق نصب عينيك في كلّ لحظة، ودعها توجّه سلوكك، وتقرّبك من ربك.

استحي من الله أن يراك على معصية، واستحي من الملائكة الكرام أن يكتبوا عليك سيئة، واستحي من نفسك أن تُضيع مستقبلك. وعش حياتك كلها استعداداً ليوم القيامة، يوم تُعرض صحيفتك، وتُجزى على كلّ ما عملت.

نسأل الله أن يثبتنا على الإيمان، وأن يرزقنا الحياء منه، وأن يعيننا على أداء مسؤوليتنا، وأن ينجينا من هول يوم القيامة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.
ثالثا

تفسير الآيات 13-16 من سورة الانفطار

{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ}

المقدمة: المشهد الأخير.. التتويج العادل للصراع الإنساني

بعد أن رسمت السورة مشاهدها الكونية المرعبة، وبعد أن كشفت عن جذور الغرور والتكذيب بالدين، وبعد أن أثبتت حقيقة المراقبة المحيطة بالإنسان، تأتي هذه الآيات الختامية لتضع النقطة النهائية على الصورة الكاملة: التتويج العادل للصراع الإنساني.

فالإنسان الذي عاش في هذه الدنيا، واختبر بالخير والشر، بالطاعة والمعصية، بالإيمان والكفر، سيواجه مصيره العادل: نعيم للأبرار، وجحيم للفجار. إنها لحظة الفصل، لحظة العدالة المطلقة التي كان ينتظرها الصالحون، ويخافها الطاغون.

والمتأمل في هذه الآيات يجد أنها تأتي بعد سلسلة من الحقائق المؤلمة (الغرور، التكذيب بالدين، المراقبة الدائمة)، وكأنها البلسم الذي يخفف عن المؤمنين ما سبق، والوعيد الذي يرهب قلوب المذنبين. إنها التوازن الإلهي الرائع: بعد كل هذا الوعيد، يأتي البشارة. وبعد كل هذا التحذير، يأتي التطمين.

أولاً: التحليل اللغوي والمفهومي العميق

"إِنَّ": حرف توكيد ونصب، يفيد اليقين والثبات. إنها تؤكد أنّ ما سيأتي بعدها هو حقيقة لا شك فيها ، ولا مجال للتردد بشأنها.

"الْأَبْرَارَ": جمع "بَرّ"، والبر هو الخير والطاعة والإحسان. والأبرار هم الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، والذين برّوا الله بطاعتهم، وبرّوا الناس بإحسانهم، وبرّوا أنفسهم بتزكيتها. وهم الذين آمنوا بـ الدين، وصدقوا باليوم الآخر، وأطاعوا الله، وأحسنوا إلى الناس، وابتعدوا عن المعاصي.

"لَفِي نَعِيمٍ": النعيم هو التنعم والرخاء والسعادة الدائمة. وهو هنا لا يقتصر على النعيم الجسدي، بل يشمل النعيم الروحي، والنعيم النفسي، والنعيم الأبدي. إنها حياة لا شقاء فيها، ولا تعب، ولا هم، ولا حزن.

"الْفُجَّارَ": جمع "فاجر"، والفاجر هو الخارج عن طاعة الله، المتهاون بأوامره، المرتكب للمعاصي، المكذب بالدين. والفجور هو الانفجار في المعاصي، والخروج عن حدود الله، والإسراف في المحرمات.

"جَحِيمٍ": هي من أسماء النار، وهي النار العظيمة الشديدة الحرارة. والجحيم مشتقة من "الجحم" وهو شدة الحرارة، أو من "التجحيم" وهو تغيير لون الشيء بالنار. وهي تصور العذاب الأليم الذي ينتظر الفجار.

"يَصْلَوْنَهَا": الصلي هو قاسية النار ولذعها، والتحمل القسري لها. وهي كلمة تعبر عن الإحساس العميق بالألم. و "يصلونها" تعني أنهم يدخلونها ويقاسون حرها ولذعها، وأن هذه النار تلاصقهم وتحيط بهم من كل جانب.

"يَوْمَ الدِّينِ": الدين هنا بمعنى الجزاء والحساب. وهو يوم القيامة، اليوم الذي يجازي الله فيه كلّ نفس بما كسبت. وهو يوم الفصل، يوم العدالة الإلهية المطلقة.

"وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ": الغياب هو البعد والاختفاء. والمعنى: أنهم ليسوا بغائبين عن النار، بل هم فيها خالدون، لا يخرجون منها، ولا يتحولون عنها. هذا هو الخلود في العذاب.

المعنى الإجمالي: إنّ الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، وأحسنوا إلى الله وإلى الناس، هم في نعيم دائم وسعادة لا تنقطع يوم القيامة. وإنّ الذين خرجوا عن طاعة الله، وأسرفوا في المعاصي، وتمادوا في الفجور، هم في نار عظيمة شديدة الحرارة، يعذبون فيها عذاباً أليماً يوم الجزاء والحساب،

وهم لا يغيبون عنها أبداً، بل يخلدون فيها.

ثانياً: تعريف الأبرار ودلالة البدء بهم

بدء الآيات بوصف ما ينتظر الأبرار يحمل دلالات بالغة الأهمية:

من هم الأبرار؟ :
هم الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح. وهم الذين:

· آمنوا بالله حقّ الإيمان.
· صدقوا باليوم الآخر.
· أطاعوا الله ورسوله.
· أحسنوا إلى الناس وأدوا حقوقهم.
· تزكوا وأنقوا أنفسهم من الأخلاق السيئة.
· ابتعدوا عن الكبائر والذنوب.
· أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة.
· صبروا على البلاء وشكروا على النعم.
· تابوا إلى الله واستغفروا لذنوبهم.
· برّوا الله بطاعتهم، وبرّوا الناس بإحسانهم.

دلالة البدء بالأبرار:
البدء بذكر الأبرار ونعيمهم قبل ذكر الفجار وعذابهم يحمل عدة دلالات تربوية ونفسية:

· التشويق إلى الخير: البدء بالخير يشوق النفوس إليه، ويدفعها للعمل من أجله. فذكر النعيم يخلق رغبة في النفس، ويحفزها للسعي إليه.
· إعطاء الأمل: المؤمن يحتاج إلى الأمل، والبدء بذكر النعيم يملأ قلبه أملا ً ورجاءً، ويجعله يثابر على الطاعة.
· تأكيد عدالة الله: البدء بالثواب على الإحسان يؤكد عدل الله، وأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا ً.
· التقديم للأهم: الأبرار هم الذين سبقوا بالخير، فكان من حقهم أن يُقدّموا في الذكر والثناء.

تطمين الآية للمؤمنين:
تطمئن هذه الآيات قلوب المؤمنين، وتخبرهم بأنّ عملهم الصالح لن يضيع، وأنّ الله سيجزيهم عليه خير الجزاء. هذا التطمين يمنحهم قوةً وثباتاً، ويجعلهم يواصلون طريقهم رغم الصعاب.

دور التطمين في تحفيز المؤمنين:
عندما يعلم المؤمن أنّ عمله سيكون محل تقدير، وأنّ الله سيكافئه عليه، فإنّ هذا يزيد من حماسه، ويقوي عزيمته، ويجعله يثابر على العمل الصالح.

ثالثاً: تغرس الشوق إلى الجنة في النفوس

تصف الآيات نعيم الأبرار بصيغة الإيجاز والإطلاق، وهذا الأسلوب يفتح آفاقاً واسعة من الأمل و الشوق:

"لفي نعيم" : هي كلمة موجزة لكنها تحمل كل معاني السعادة. ولم يحدد القرآن طبيعة هذا النعيم، ليترك للخيال مساحةً للتصور، وليشعر كلُ مؤمن بأنّ هذا النعيم يتناسب مع ما كان يعمله من خير.

غرس الشوق من خلال الإطلاق:
عندما يوصف النعيم بإطلاق، دون تفصيل، فإنّ النفس تتشوق إليه أكثر. فالإنسان يشتهي ما لا يعرف تفاصيله، ويتطلع إلى ما هو غامض وجميل. وهذا الإطلاق هو الذي يخلق في النفس شوقاً عظيماً إلى الجنة وما فيها.

الشوق إلى الجنة دافع للعمل:
الشوق إلى الجنة ليس مجرد عاطفة، بل هو دافع قوي للعمل. فالإنسان الذي يشتهي شيئاً، يسعى إليه بكل جهده. والشوق إلى الجنة يجعل المؤمن يثابر على الطاعة، ويصبر على المشاق، ويجتهد في العبادة.

الشوق إلى الجنة يقوي الثبات:
عندما يواجه المؤمن الفتن والمشاق، يذكّره شوقه إلى الجنة بأنّ هذه الدنيا زائلة، وأنّ ما ينتظره خيرٌ مما هو فيه. وهذا التذكر يمنحه قوةً على الثبات والصبر.

الجنة هي نهاية المطاف:
تذكر الجنة ونعيمها، وما أعدّه الله فيها لعباده المؤمنين، يجعل المؤمن يرى الدنيا بعينٍ أخرى. يراها مجرد ممرٍّ إلى النعيم الأبدي، وليست غايةً في حد ذاتها.

الاستعداد للجنة:
عندما يشوق المؤمن إلى الجنة، فإنه يبدأ في الاستعداد لها. يقرأ عنها، ويتعلم صفات أهلها، ويجتهد في العمل الذي يُقرّبه منها.

رابعاً: الحوافز ودورها التربوي في الانضباط

تُبرز هذه الآيات أهمية الحوافز (الثواب) والدوافع (الترغيب والترهيب) في التربية، وتقدّم نموذجاً متكاملا ً لهذا المفهوم:

مفهوم الحوافز التربوية:
الحوافز هي الأدوات التي تُستخدم لتحفيز السلوك الإيجابي، وتثبيته، وتشجيعه. وهي تشمل الترغيب (الوعد بالخير) والترهيب (التحذير من الشر). والقرآن يستخدمهما معاً ببراعة.

الترغيب في الآيات (نعيم الأبرار):
وصف نعيم الأبرار هو ترغيب في الإيمان والعمل الصالح. إنه يخاطب رغبة الإنسان في السعادة، ويُريه الطريق إليها، ويُخبره بأنّ هذه السعادة دائمة ولا تنقطع.

الترهيب في الآيات (جحيم الفجار):
وصف جحيم الفجار هو ترهيب من المعاصي والكفر. إنه يخاطب خوف الإنسان من الألم، ويُحذّره من الطريق الذي يؤدي إليه، ويُخبره بأنّ هذا الألم أبدي لا ينقطع.

دور الحوافز في الانضباط:
الحوافز (الترغيب والترهيب) هي التي تجعل الإنسان منضبطاً. فهو يلتزم بالخير لأنه يرجو ثوابه، ويبتعد عن الشر لأنه يخاف عقابه. وهذا الانضباط هو أساس الأخلاق والاستقامة.

الحوافز في التربية الإيمانية:
التربية الإيمانية لا تستغني عن الحوافز. فهي تربي المؤمن على حبِّ الجنة وخوف النار، وتجعله يعمل للآخرة كما يعمل للدنيا، بل أكثر.

التوازن بين الخوف والرجاء:
التربية الناجحة توازن بين الخوف والرجاء. الخوف يمنع الإنسان من المعاصي، والرجاء يدفعه إلى الطاعة. والقرآن يقدّم هذا التوازن في أفضل صورة: يخوّف من النار ويرغّب في الجنة.

تطبيقات تربوية:

· يجب أن يعلم المربي أبناءه وطلابه أنّ هناك ثواباً على الطاعة، وعقاباً على المعصية.
· يجب أن يربط بين العمل الصالح والسعادة في الدنيا والآخرة.
· يجب أن يحذّر من عواقب المعاصي، ليس فقط في الآخرة، بل في الدنيا أيضاً.
· يجب أن يزرع الأمل في قلوبهم، ويشوّقهم إلى الجنة.

خامساً: معنى "يصلونها" وعلاقته بالخلود في العذاب

تُستخدم كلمة "يَصْلَوْنَهَا" للتعبير عن عذاب الفجار، وهذه الكلمة تحمل دلالات عميقة:

"الصلي" معناه ولوج النار ولذعها:
الصلي هو قاسية النار وشدة حرها، وهو الشعور بالألم المستمر. والفعل "يصلونها" يعني أنهم يدخلونها ويقاسون حرها، وأنّ النار تلتصق بهم وتحيط بهم من كل جانب.

الصلي والخلود:
استخدام "يصلونها" في هذه الآيات، مع قوله "وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ"، يعني أنّ عذابهم ليس مؤقتاً أو منقطعاً، بل هو دائم ومستمر. ويدل على أن دخولهم فيها ليس مجرد دخول، بل هو التصاق دائم وإحساس مستمر بالألم.

الفرق بين عذاب الكافر وعذاب المؤمن المذنب:
من المهم التمييز بين عذاب الكافر وعذاب المؤمن الذي ارتكب ذنباً. فالكافر الذي كذّب بالدين وجحد بالله، يكون عذابه في النار خالداً أبدياً. أما المؤمن الذي ارتكب ذنباً، فهو تحت مشيئة الله: إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه ثم أخرجه من النار.

الخلود للكافرين:
الخلود في النار هو للكافرين الذين كذّبوا بالدين، وكفروا بالله، وجحدوا بآياته. وهم الذين أصرّوا على الكفر حتى الموت دون توبة.

الكبائر والمعاصي:
أما الذين يرتكبون الكبائر، أو يذنبون بمعاص، فإنهم تحت مشيئة الله. وقد يغفر لهم الله، وقد يعذبهم ثم يخرجهم من النار بعد تطهيرهم. والخلود في النار ليس حكماً عاماً على كل المذنبين، بل هو خاص بالكافرين والمكذبين.

الدروس المستفادة من هذه التفرقة:

· ضرورة التوبة والاستغفار، لأنّ الله قد يغفر لمن تاب.
· أهمية الإيمان بالله ورسوله، فهو المنجي من الخلود في النار.
· عدم الأمن من مكر الله، وعدم القنوط من رحمته.

سادساً: المقارنة بين نعيم الأبرار وعذاب الفجار

تقدم الآيات مقارنة واضحة بين مصير الفريقين، وهذا الأسلوب له أثر كبير في النفس:

المقارنة الأولى: النعيم مقابل الجحيم:
النعيم هو السعادة الكاملة، والجحيم هو الشقاء الكامل. هذه المقارنة تضع الإنسان أمام خيارين واضحين، وتدفعه إلى الاختيار.

المقارنة الثانية: الدوام مقابل الزوال:
نعيم الأبرار دائم لا ينقطع، وعذاب الفجار دائم لا ينقطع أيضاً. المقارنة هنا ليست في المدة، بل في النوع. فكلاهما دائم، لكن أحدهما نعيم والآخر عذاب.

المقارنة الثالثة: اليقين مقابل اليقين:
"إنّ" في بداية كلّ جملة تؤكد يقين كلا المصيرين. فلا شكّ في نعيم الأبرار، ولا شكّ في عذاب الفجار.

المقارنة الرابعة: الغياب مقابل الحضور:
الأبرار في نعيمٍ لا يغيب عنهم، والفجار في جحيمٍ لا يغيبون عنه. كلاهما في مكانه أبداً، لكن أحدهما في نعيم والآخر في عذاب.

الدلالة التربوية للمقارنة:
المقارنة بين المصيرين تجعل الإنسان يرى الصورة كاملة، فيختار الطريق الذي يفضله. وهي تمنع التردد، وتدفع إلى القرار الحاسم.

سابعاً: القضايا الكبرى والمفاهيم والدروس المستفادة

القضية الأولى: العدالة الإلهية المطلقة:
الله عادل، وسيجزي كلّ إنسان بما عمل. الأبرار بالنعيم، والفجار بالجحيم. هذه العدالة هي أساس الإ يمان باليوم الآخر.

القضية الثانية: التكريم والتفضيل مرتبطان بالعمل:
الله كرّم الإنسان، لكن هذا التكريم ليس مجرد منحة، بل هو مرتبط بالعمل. فمن عمل صالحاً نال التكريم، ومن أساء نال العقاب.

القضية الثالثة: الحوافز والدوافع أساس الضبط التربوي:
الترغيب والترهيب هما أداتا التربية الأساسيتان. وهما المستخدمتان في القرآن لتوجيه سلوك الإنسان.

القضية الرابعة: الخلود في النار خاص بالكافرين:
الخلود في النار ليس حكماً عاماً على كلّ المذنبين، بل هو خاص بالكافرين الذين كذّبوا بالدين، وأصرّوا على الكفر حتى الموت.

القضية الخامسة: أهمية الشوق إلى الجنة:
الشوق إلى الجنة هو الدافع الأكبر للعمل الصالح. وهو ما يمنح المؤمن القوة على الثبات، والصبر على المشاق.

القضية السادسة: اليقين بالجزاء:
"إنّ" في بداية الآيات تؤكد يقين الجزاء، وهذا اليقين هو ما يمنح المؤمن الطمأنينة، وما يُرهب قلب الكافر.

الدرس الأول: اعمل للآخرة:
لا تغتر بالدنيا، واعمل لآخرتك. فما ينتظرك هناك هو الحقيقة الكبرى، وما أنت فيه اليوم هو مجرد ممر.

الدرس الثاني: اختر طريق الأبرار:
الأبرار هم الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح. اختر طريقهم، واجتهد في اللحاق بهم.

الدرس الثالث: اتق الله في سرك وعلانيتك:
الله يراقبك، والملائكة تسجل أعمالك. فاتق الله في كلّ ما تفعل، وفي كلّ ما تترك.

الدرس الرابع: تب إلى الله ولا تقنط:
مهما كانت ذنوبك، باب التوبة مفتوح. فتب إلى الله، ولا تقنط من رحمته.

ثامناً: كيف نستشعر هذه الآيات في حياتنا العملية؟

عند الشعور بالتعب في الطاعة:
إذا شعرت بالتعب في طريق الطاعة، تذكر نعيم الأبرار. تذكر أنّ تعبك هذا ليس عبثاً، بل هو استثمار في نعيم أبدي.

عند الإحساس بالفتنة:
إذا شعرت بالفتنة، تذكر عذاب الفجار. تذكر أنّ المعصية لحظة، وعذابها أبدي. استحضر هذه الحقيقة، وستجد قوة على الابتعاد.

عند اتخاذ القرارات المصيرية:
قبل أن تتخذ قراراً، اسأل نفسك: هل هذا القرار سيقربني من نعيم الأبرار، أم سيقربني من عذاب الفجار؟

عند النظر إلى الدنيا:
انظر إلى الدنيا على أنها ممر، وليست غاية. وما فيها من متع زائلة، ليست سوى اختبار. والغاية الحقيقية هي ما ينتظرك في الآخرة.

عند الدعاء:
ادع الله أن يجعلك من الأبرار، وأن يثبتك على طريقهم. وادع الله أن ينجيك من عذاب الفجار.

عند تذكير الآخرين:
ذكِّر الآخرين بهذه الآيات، وادعهم إلى الإيمان والعمل الصالح.

رسالة الختام: الآيات كمنهج حياة متكامل

إنّ هذه الآيات الختامية تُشكِّل مع ما سبقها منهج حياة متكاملا ً:

الإيمان باليوم الآخر هو أساس الاستقامة:
عندما تؤمن باليوم الآخر، وتوقن بالجزاء، تتغير نظرتك إلى الحياة كلها. تصبح أكثر وعياً، وأكثر مسؤولية، وأكثر التزاماً.

الحوافز الربانية هي الدافع الأكبر:
الوعد بالنعيم والوعيد بالجحيم، هما أكبر حافزين لسلوك الإنسان. استخدمهما في تربية نفسك، وفي تربية الآخرين.

العدالة الإلهية هي الضمان الأكبر:
عندما توقن بأنّ الله عادل، ولا يظلم أحداً، تطمئن نفسك، وتثق في أنّ كلّ عمل سيجزى.

الخلود في النار للكافرين:
لا تقنط من رحمة الله، فالخلود في النار ليس حكماً عاماً على كلّ المذنبين. تب إلى الله، واستغفره، واطلب عفوه.

الشوق إلى الجنة دافع للثبات:
اجعل شوقك إلى الجنة هو دافعك للثبات على الطاعة. وتذكر أنّ ما عند الله خيرٌ وأبقى.

يا طالب المعرفة، ويا ساعياً إلى الكمال:

لقد وصلنا إلى نهاية السورة، وإلى نهاية المشهد الكامل. بدأنا بانفطار السماء، وانتهينا بنعيم الأبرار وجحيم الفجار. هذه هي الدورة الكاملة: خلق، اختبار، ثم جزاء.

فاختر طريقك الآن، واعمل لآخرتك، واستعدّ ليوم الدين. واجعل هذه السورة نصب عينيك، وتذكرةً لك في كلّ لحظة.

نسأل الله أن يجعلنا من الأبرار الذين في نعيم، وأن ينجينا من عذاب الفجار، وأن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا بالحسنى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

رابعا

تفسير الآيات 17-19 من سورة الانفطار

{وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ}

المقدمة: الخاتمة المهيبة.. تكبير المشهد وإعلان السيادة المطلقة

بعد أن رسمت السورة مشاهدها الكونية المرعبة، وبعد أن كشفت عن جذور الغرور والتكذيب بالدين، وبعد أن أثبتت حقيقة المراقبة المحيطة بالإنسان، وبعد أن بينت مصير الأبرار والفجار في مشهد العدالة الإلهية، تأتي هذه الآيات الخاتمة لتضع التاج على المشهد كله، ولترفع الستار عن الحقيقة الكبرى التي هي جوهر كل شيء: عظمة يوم الدين، وسيادة الله المطلقة فيه.

إنها ليست مجرد خاتمة، بل هي قمة المشهد وأعلى ذروته. فيها يتضاعف التعظيم، ويتكرر الاستفهام التعجبي، وتتأكد حقيقة أنّ هذا اليوم هو اليوم الذي لا تملك فيه نفسٌ لنفسٍ شيئاً، والأمر كله لله وحده.

والمتأمل في هذه الآيات يجد أنها تعيدنا إلى بداية السورة، وكأنها تقول: لقد بدأنا بانفطار السماء، وانتهينا بيوم الدين. بدأنا بالكون المادي، وانتهينا بالسيادة الإلهية. بدأنا بالصدمة الكونية، وانتهينا بـ الحقيقة الوجودية. إنها الدائرة التي تبدأ بـالله وتنتهي بـالله.

أولا ً: التحليل اللغوي والمفهومي العميق

"وَمَا أَدْرَاكَ" : صيغة استفهام تعجبي، تفيد التفخيم والتعظيم. وهي تدل على أنّ ما بعدها هو أمر عظيم لا يمكن للإنسان أن يدركه بعقله المحدود، ولا أن يتصوره بخياله القاصر. إنها دعوة للتأمل، واعتراف بقصور الإدراك البشري أمام عظمة الأمر الإلهي.

"مَا يَوْمُ الدِّينِ" : تكرار السؤال يؤكد العظمة، ويضاعف التعظيم. إنه ليس مجرد استفهام عن اليوم، بل هو تنبيه إلى أنّ هذا اليوم يفوق كلّ تصور، ويعلو على كلّ إدراك. وكأن الله يقول: "لقد أخبرتك عن يوم الدين، لكنك لا تستطيع أن تتصور عظمته حقّ التصور".

"ثُمَّ" : حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي، ويشير إلى أنّ التعظيم يتضاعف، وأنّ العظمة تعلو أكثر فأكثر. إنها تدل على أنّ هناك مراتب في التعظيم، وأنّ اليوم كلما تأملته ازدادت عظمته في نفسك.

"يَوْمَ" : هذا هو اليوم الذي كانت الآيات السابقة تتحدث عنه، اليوم الذي تنفطر فيه السماء، وتنتثر فيه الكواكب، وتتفجر فيه البحار، وتُبعثر فيه القبور. إنه يوم الحساب، يوم الجزاء، يوم الفصل.

"لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا" : هذا هو جوهر اليوم. النفوس التي كانت في الدنيا تتكاثر وتترابط وتتضامن، في هذا اليوم تفقد كلّ قدرة على النفع. لا تستطيع نفس أن تنفع نفساً أخرى، ولا أن تدفع عنها ضراً، ولا أن تقرّبها من خير. كلّ نفس مشغولة بنفسها، وكلّ إنسان وحيد مع عمله.

"وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ" : هذه هي خلاصة الخلاصة. في ذلك اليوم، تنتهي كلّ سلطة، وتزول كلّ ولاية، ويختفي كلّ أمر. لا سلطان لسلطان، ولا حكم لحاكم، ولا أمر لآمر. الأمر كله لله وحده، لا شريك له، ولا منازع، ولا معقب لحكمه.

المعنى الإجمالي: يا أيها الإنسان، إنّ يوم الدين هو يوم عظيم، يفوق كلّ تصور، ويعجز عن إدراكه كلّ عقل. إنه اليوم الذي لا تنفع فيه الصلات الدنيوية، ولا تنفع فيه الشفاعات إلا بإذن الله، ولا تملك فيه نفسٌ لنفسٍ شيئاً. إنه اليوم الذي يكون الأمر كله لله وحده، لا يشاركه في أمره أحد، ولا يعترض على حكمه معترض.

ثانياً: سر تكرار "وما أدراك ما يوم الدين"

تكرار هذه الجملة في الآيات يحمل دلالات بلاغية ونفسية عميقة:

التكرار الأول: إثارة الدهشة والتعجب:
التكرار الأول يثير في نفس الإنسان الدهشة والتعجب. فهو يجعله يتساءل: ما هذا اليوم؟ وما هي عظمته؟ وهل يمكنني أن أتصوره؟

التكرار الثاني: تضاعف التعظيم:

التكرار الثاني يُضاعف التعظيم، ويؤكد أنّ هذا اليوم أعظم مما يتصور. فكلما تأمل الإنسان فيه، ازدادت عظمته في عينيه، وكلما حاول تصوره، وجد أنه فوق كلّ تصور.

التكرار والتربية النفسية:
التكرار في القرآن ليس تكراراً عادياً، بل هو تكرارٌ مقصود لترسيخ المعنى في النفس، ولإحداث تأثير تراكمي. فالنفس البشرية تحتاج إلى التكرار لتستوعب الحقائق الكبرى.

التكرار ودلالة العجز المعرفي:
التكرار يعكس أيضاً عجز الإنسان المعرفي. فمع أنّ الله أخبره عن يوم الدين، إلا أنّ الإنسان لا يستطيع أن يدرك حقيقته حقّ الإدراك. وهذا العجز يدفعه إلى التواضع، وإلى التسليم لله.

التكرار ودلالة الأهمية القصوى:
تكرار السؤال عن يوم الدين، مع أنه سؤال عن شيء تمّ الإخبار عنه، يدل على أنّ هذا اليوم له أهمية قصوى، وأنّ كلّ شيء في الحياة يجب أن يُنظر إليه في ضوئه.

ثالثاً: معنى "لا تملك نفس لنفس شيئاً" وأبعاده

هذه الجملة القصيرة تحمل في طياتها فلسفة عميقة حول العلاقات الإنسانية في الآخرة:

انقطاع العلاقات الدنيوية:
في الدنيا، يتكاتف الناس، ويتعاونون، ويتضامنون. الأقارب يساعدون أقاربهم، والأصدقاء يساندون أصدقاءهم، والمجتمعات تتعاون فيما بينها. لكن في يوم القيامة، تنقطع كلّ هذه العلاقات، ولا ينفع أحدٌ أحداً.

الوحدة المطلقة:
في ذلك اليوم، كلّ إنسان وحيدٌ مع عمله. لا زوجة تنجي زوجها، ولا ولد ينجي والده، ولا صديق ينجي صديقه. كلّ نفس مشغولة بنفسها، وكلّ إنسان مسؤول عن نفسه.

إبطال الشفاعة بغير إذن:
الناس في الدنيا يتوسلون إلى ذوي النفوذ، ويطلبون الشفاعة منهم. في يوم القيامة، لا شفاعة إلا بإذن الله. فلا يملك نبيٌ ولا رسول ولا ملك مقرّب أن يشفع لأحد إلا إذا أذن الله له.

إبطال الفدية:
في الدنيا، قد يفتدي الإنسان نفسه بالمال، أو بالجاه، أو بالعلاقات. في يوم القيامة، لا يقبل من الإ نسان فداء، ولا تنفعه أمواله، ولا أولاده، ولا علاقاته.

العدالة المطلقة:
هذه الحقيقة تعكس عدالة الله المطلقة. فكلّ إنسان يُجزى بما عمل، ولا ينفعه عمل غيره، ولا يضره عمل غيره.

الدلالة التربوية:
هذه الحقيقة تدعو الإنسان إلى أن يعتمد على نفسه، وأن يعمل لآخرته، وأن لا يتكل على أحدٍ في نجاته. فكلّ إنسان مسؤول عن نفسه، وكلّ إنسان سيلقى ما قدمت يداه.

رابعاً: معنى "والأمر يومئذ لله" وأبعاده

هذه الجملة هي تتويج للمشهد، وإعلان للسيادة المطلقة:

زوال كلّ سلطة دنيوية:
في الدنيا، هناك ملوك وحكام ورؤساء. يتنافسون على السلطة، ويتصارعون على الحكم. في يوم القيامة، تزول كلّ هذه السلطات، ولا يبقى إلا سلطان الله.

زوال كلّ ولاية باطلة:
الناس في الدنيا يتولّون بعضهم بعضاً. الحكام يتولّون الرعية، والأغنياء يتولّون الفقراء، والأقوياء يتولّون الضعفاء. في يوم القيامة، تزول كلّ هذه الولايات، ولا تبقى إلا ولاية الله.

زوال كلّ أمرٍ سوى أمر الله:
في الدنيا، هناك أوامر ونواهٍ كثيرة. أوامر الحكام، وأوامر الرؤساء، وأوامر الآباء. في يوم القيامة، لا يبقى إلا أمر الله، ولا حكم إلا حكمه.

العدل الإلهي المطلق:
عندما يكون الأمر لله وحده، يكون العدل مطلقاً. لا محاباة، ولا مجاملة، ولا ظلم. كلّ إنسان يُجزى بما عمل، بحقّ وعدل.

التسليم الإلهي:
هذه الحقيقة تدعو الإنسان إلى التسليم لله في الدنيا والآخرة. فكما أنّ الأمر في الآخرة لله وحده، فإنّ الأمر في الدنيا يجب أن يكون لله أيضاً.

الدلالة التربوية:
هذه الحقيقة تدعو الإنسان إلى أن يسلِم أمره لله، وأن يرضى بحكمه، وأن لا يتعلّق بغير الله.

خامساً: العلاقة بين الآيات الختامية ومقدمات السورة

تشكل هذه الآيات الختامية دائرة متكاملة مع مقدمات السورة:

العلاقة الأولى: من السماء المنفطرة إلى الأمر لله:
بدأت السورة بانفطار السماء، وهو مشهد كوني مرعب، وانتهت بالأمر لله، وهو حقيقة وجودية كبرى. وكأن السورة تقول: كلّ هذا الدمار الكوني إنما هو تمهيد لإعلان سيادة الله المطلقة.

العلاقة الثانية: من الكواكب المنتثرة إلى لا تملك نفس لنفس شيئاً:
بدأت السورة بانتفار الكواكب، وهو مشهد يبعث على الرعب، وانتهت بانقطاع كلّ علاقة بين النفوس، وهو مشهد يبعث على الوحدة. وكأن السورة تقول: كلّ هذه الكواكب التي كانت تزين السماء ستنتثر، وكلّ هذه العلاقات التي كانت تربط الناس ستزول.

العلاقة الثالثة: من البحار المتفجرة إلى يوم الدين:
بدأت السورة بتفجير البحار، وهو مشهد يبعث على الدهشة، وانتهت بيوم الدين، وهو يوم الحساب. وكأن السورة تقول: كلّ هذه البحار التي كانت مصدر الحياة ستتفجر، وستظهر حقيقة الحياة في يوم الدين.

العلاقة الرابعة: من القبور المبعثرة إلى لا تملك نفس لنفس شيئاً:
بدأت السورة ببعثرة القبور، وهو مشهد يبعث على الخوف، وانتهت بانقطاع كلّ علاقة بين النفوس. وكأن السورة تقول: كلّ هذه القبور التي تخفي الموتى ستبعثر، وكلّ هذه النفوس التي كانت تتكاتف ستتفرق.

العلاقة الخامسة: من علمت نفس إلى الأمر لله:
بدأت السورة بعلم النفس بما قدمت وأخرت، وانتهت بالأمر لله. وكأن السورة تقول: النفوس ستعلم كلّ شيء، والأمر في النهاية لله وحده.

سادساً: القضايا الكبرى والمفاهيم والدروس المستفادة

القضية الأولى: عظمة يوم الدين:
يوم الدين هو اليوم الأعظم في تاريخ البشرية. إنه اليوم الذي تتغير فيه كلّ المعايير، وتقلب فيه كلّ الموازين، ويظهر فيه الحقّ على الباطل.

القضية الثانية: قصور الإدراك البشري:
الإنسان مهما بلغ من العلم والفهم، لا يستطيع أن يدرك عظمة يوم الدين حقّ الإدراك. هذا القصور يجب أن يدفعه إلى التواضع، وإلى التسليم لله.

القضية الثالثة: انقطاع العلاقات الدنيوية:
في يوم القيامة، تنقطع كلّ العلاقات التي كانت تربط الناس في الدنيا. لا تنفع القرابة، ولا تنفع الصداقة، ولا تنفع الزمالة. كلّ إنسان وحيد مع عمله.

القضية الرابعة: السيادة المطلقة لله:
في يوم القيامة، يكون الأمر كله لله وحده. لا سلطان لأحد سواه، ولا حكم لأحد غيره. هذه السيادة المطلقة هي الحقيقة التي يجب أن تسيطر على وعي الإنسان في الدنيا والآخرة.

القضية الخامسة: المسؤولية الفردية المطلقة:
كلّ نفس مسؤولة عن نفسها، ولا تنفع نفسٌ نفساً أخرى. هذه الحقيقة يجب أن تدفع الإنسان إلى الا هتمام بنفسه، والعمل لآخرته.

القضية السادسة: أهمية الاستعداد ليوم الدين:
إذا كان يوم الدين بهذه العظمة، وإذا كان الأمر فيه لله وحده، وإذا كانت النفس لا تملك لنفس شيئاً، فإنّ على الإنسان أن يستعدّ لهذا اليوم، وأن يعمل له، وأن يُعدّ له العدة.

الدرس الأول: لا تغتر بالدنيا:
الدنيا زائلة، وكلّ ما فيها زائل. فلا تغتر بها، ولا تنسَ الآخرة.

الدرس الثاني: لا تتكل على أحد:
لا تتكل على أحدٍ في نجاة نفسك. كلّ إنسان مسؤول عن نفسه، وكلّ إنسان سيلقى ما قدمت يداه.

الدرس الثالث: سلِّم أمرك لله:
سلِّم أمرك لله في الدنيا والآخرة، وارض بحكمه، وتوكل عليه.

الدرس الرابع: استعدّ ليوم الدين:
استعدّ ليوم الدين بالإيمان والعمل الصالح، والتوبة والاستغفار.

الدرس الخامس: اذكر الله دائماً:
اذكر الله في كلّ وقت، وتذكر أنّ الأمر كله له، في الدنيا والآخرة.

سابعاً: كيف نستشعر هذه الآيات في حياتنا العملية؟

في كلّ صباح:
عندما تستيقظ، تذكر أنّ اليوم الذي تعيشه هو يومٌ من أيام الدنيا، وأنّ هناك يوماً أعظم منه، هو يوم الدين. اجعل هذا التذكير دافعاً للعمل الصالح.

في كلّ مساء:
عندما تنام، تذكر أنك قد تموت في نومك، وأنّ يوم الدين قد يأتي في أيّ لحظة. اجعل هذا التذكير دافعاً للاستغفار والتوبة.

عند التعامل مع الناس:
تذكر أنّ العلاقات التي تربطك بالناس في الدنيا هي علاقات مؤقتة، وأنّ كلّ إنسان سيقف وحده أمام الله يوم القيامة. هذا التذكير يجعلك أكثر عدلاً، وأكثر رفقاً، وأكثر تسامحاً.

عند الشعور بالقلق:
إذا شعرت بالقلق من المستقبل، تذكر أنّ الأمر كله لله، وأنّ الله هو المدبّر لكلّ شيء. هذا التذكير يمنحك الطمأنينة والسكينة.

عند الشعور بالغرور:
إذا شعرت بالغرور، تذكر أنّك في يوم القيامة لن تملك لنفسك شيئاً، فكيف تغتر بما عندك من مال أو جاه أو علم؟

عند الشعور باليأس:
إذا شعرت باليأس، تذكر أنّ الأمر كله لله، وأنّ الله قادر على تغيير كلّ شيء. هذا التذكير يمنحك الأ مل والرجاء.

ثامناً: الخاتمة الكبرى للسورة

السورة التي بدأت بانفطار السماء، وانتهت بالأمر لله، تترك في النفس أثراً عميقاً:

البداية والنهاية:
البداية كانت بالكون المادي، والنهاية باللّه. وهذا هو جوهر الإيمان: أن ترى الكون كله في ضوء الله.

الرحلة الإيمانية:
السورة تأخذ الإنسان في رحلة إيمانية: تبدأ بإنذاره بمشاهد القيامة، ثم تسأله عن سبب غروره، ثم تذكره بنعم الله عليه، ثم تكشف له عن جذور غروره في التكذيب بالدين، ثم تثبت له حقيقة المراقبة ، ثم تبين له مصير الأبرار والفجار، وتختم بإعلان السيادة المطلقة لله.

الرسالة الختامية:
الرسالة التي تتركها السورة في النفس هي: أنّ كلّ شيء في هذا الكون زائل، وأنّ الباقي هو الله وحده، وعملك الصالح. فاعمل لآخرتك، واستعدّ ليوم الدين، وتذكر أنّ الأمر كله لله.

يا طالب المعرفة، ويا ساعياً إلى الكمال:

لقد وصلنا إلى نهاية السورة، وإلى نهاية المشهد الكامل. بدأنا بانفطار السماء، وانتهينا بالأمر لله. هذه هي الدورة الكاملة: كون، ثم دين، ثم الله.

اجعل هذه السورة نصب عينيك، وتذكرة لك في كلّ لحظة. وتذكر أنّ يوم الدين آتٍ لا محالة، وأنّ الأ مر فيه لله وحده، وأنّ كلّ نفس ستلقى ما قدمت.

نسأل الله أن يثبتنا على الإيمان، وأن يختم لنا بالحسنى، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.